الأزهـــر

يحكى قصته فى ألف عام

د. محمد عبد المنعم خفاجى

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

الأزهر يحكى قصته فى ألف عام

الأزهـــر

يحكى قصته فى ألف عام

د. محمد عبد المنعم خفاجى

كمبيوتر: (دار الوفاء)

الطباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشـــر

ش ملك حفنى قبلى السكة الحديـــد

بجوار مساكن دربالة بلوك رقم (٣)

الرقم البريدى: ٢١٤١١ - إسكندرية

رقم الإيـــداع: ٢٤٩٨/ ٢٠٠٢

الترقيم الدولى: 3 - 230 – 327 – 977

تصدير

الأزهر يحكى قصته

فى هذه الصفحات يروى لنا الأزهر تاريخه، التاريخ المضىء لشيخ الجامعات فى الشرق والغرب، تاريخه مع الأيام، وأيامه مع التاريخ.

وهى قصة عجب تضىء لك ما كان خفيا من تاريخه البعيد والقريب. والقديم والحديث والمعاصر، وسير عدد غير قليل عن رواده وأعلامه وحملة الفكر فيه وفى مصر والعالم الإسلامى.

وأرجو عن الله أن تظل هذه الجامعة شامخة البنيان، عالية الذرى مرفوعة اللواء لخير الإسلام والمسلمين.

وما توفيقى إلا بالله،

المؤلف



الفصل الأول

صـــوت التـاريخ

تقديم

الأزهر أبو الجامعات فى الشرق والغرب

هذا البناء الشامخ، والمسجد العريق القائم فى نهاية شارع الأزهر بالقاهرة. والمجاور لميدان الحسين، والذى رفع قبابه جوهر الصقلى، قائد جيش فتح مصر فى عهد المعز الفاطمى- هو جامعة الجامعات، ومعهد العالم فى عاصمة مصر قاهرة المعز الخالدة، وهو حقا قلعة حضارية فى تاريخ مصر الإسلامية طوال ألف عام أو يزيد .. إنه الأزهر أبو الجامعات فى الشرق والغرب.

وشيخ معاهد العلم فى مختلف أرجاء العالم. وإذا كان مسجد القرويين قد أنشىء فى فارس عام ٢٤٥هـ ٨٥٩م، فإنه لم يتحول إلى جامعة إلا فى زمن متأخر جدا، بينما صار الجامع الأزهر جامعة إسلامية بعد إنشائه بسنوات، وصار مقصد الطلاب والأساتذة من أنحاء الدنيا، وقام برسالة ثقافية كبيرة طيلة ألف عام، مما لم يحدث فى تاريخ أية جامعة من الجامعات فى الشرق ولا فى الغرب.

وكان إنشاء الأزهر وقيام الحلقات العلمية الجامعية فيه بعد إنشائه مباشرة وحتى اليوم، معجزة المعجزات فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

والأزهر هو أبو الجامعات الدينية، فى عالم الإسلام، وهو الذى يمدها بالتوجيه والخبرة، وبالخطط العلمية المدروسة، وبالمناهج والأساتذة، على نمطه قامت مختلف الجامعات الإسلامية الحديثة فى أنحاء العالم الإسلامى، وصار هو الصورة المشرقة لكل الجامعات وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طوال ألف عام..

إنه روح هذه الحضارة، والمعبر عنها والمترجم لثقافتها. وهو موئل العربية وملاذها الأمين. منذ قيامه إلى اليوم .

وقد سمى الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة فى رأى، أو لأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق رواء وجلالا وفخامة فى رأى. أو لأنه ينتسب إلى الفاطمية

وإلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ في رأى آخر. أو للتفاؤل بما سيكون له من المكانة والجلال والازدهار العلمى فى تاريخ الثقافة الإسلامية.

وقد شرع المعز الفاطمى منذ تولى الحكم فى دولة الفاطميين فى المغرب فى بناء دولة واسعة، وامبراطورية ضخمة لآل البيت فى وسط العالم الإسلامى، ومن ثم امتد بصره إلى مصر ، وشرع فى التمهيد لفتحها، ونشط الدعاة الفاطميون فى الدعوة لآل البيت فى أنحاء مصر كلها، ثم عين قائده جوهرا قائدا لجيش الفتح، فخرج من القيروان بجيش ضخم فى ١٤ من ربيع الأول عام ٣٥٨هـ فبراير ٩٦٩م، فأستولى على الإسكندرية، ثم واصل زحفه إلى الجيزة، فدخلها فى ١١من شعبان عام ٣٥٨هـ- يوليو ٩٦٩م، وفى اليوم التالى دخل جوهر الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية الأولى آنذاك.

ومكث جوهر فى شمالى الفسطاط ثمانية أيام استراحت فيها جنوده بعد عبورهم النيل من الجيزة إلى الفسطاط وأخذ جوهر فى وضع أساس عاصمة جديدة لمصر الفاطمية، فوضع أساسها فى يوم الثلاثاء ١٧ من شعبان ٣٥٨هـ ٧ يوليو ٩٦٩م كما ورد فى خطط المقريزى (جـ٢ ص ٢٠٤)، ووضع أساس القصر الفاطمى الكبير - الشرقى فى اليوم التالى ليكون مقر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله.

وفى يوم السبت ٢٤ من جمادى الأولى عام ٣٥٩هـ - ١٢ من إبريل ٩٧٠م شرع القائد جوهر فى بناء الجامع الأزهر إلى جانب القصر الكبير - الخطط جـ٣ ص ٢٧٣- وظل البناء عامين (٩٧٠ - ٩٧٢م)، وتم البناء وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة فى السابع من رمضان عام ٣٦١هـ- ٢٢ من يونيو عام ٩٧٢م ولم يلبث أن صار هذا المسجد هو المسجد الرسمى لدولة الفاطميين، وبعد تسعة أشهر من افتتاحه أخذ الناس يتلقون فيه عقائد المذهب الفاطمى.

وكانوا يجتمعون كل يوم جمعة فيما بين صلاة الظهر وصلاة العصر، وعلى رأسهم الوزير أبو يعقوب قاضى الخندق (خطط المقريزى جـ٥ ص ٤٩) ومنذ عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى بنيت الأروقة حول الأزهر، وصارت جزءا منه، وفرشت

بما يلزم لها من الفرش، وصارت مساكن يقيم بها الطلاب، وفي مقدمتهم الطلاب الوافدون على الأزهر من أنحاء العالم الإسلامي ومن شتى مدن مصر الفاطمية.

وكان نظام الحلقات الذى كان يتبع فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة فى الجامع الأزهر، وهو أساس الحياة العلمية والثقافية فى مصر. وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من عمد الجامع لا يجلس فيه إلا هذا المذهب. وكان شيخ المذهب حريصا على أن تكون حلقته العلمية بجوار هذا العمود، وكان من عادته فى أثناء إلقاء الدروس أن يجلس على الأرض بجوار العمود مستقبلا القبلة، ثم صار أخيرا يجلس على كرسى من الخشب أو الجريد. وصارت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه، ومن ذلك أخذت الجامعات نظام الأساتذة ذوى الكراسى، وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة ولكل طالب مكان فى الحلقة لا يتعداه.

وكان فى الحلقة طالب من أنبه طلابها يكلفه الأستاذ بإعادة درسه على زملائه وبقراءة الموضوع العلمي للدرس فى مختلف مصادره، وسمى هذا الطالب معيدا، وعن الأزهر أخذت الجامعات نظام المعيدين أيضا. وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هى أن يبدأ الشيخ درسه بالبسملة والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ، ثم يلخص موضوع درسه ، ثم يقرأ النصوص التى كتبت حوله فى مختلف المصادر. ويقوم الطلاب بسؤال أستاذهم فى كل ما غمض عليهم، ويستمر الحوار والمناقشة والأسئلة والإجابة عنها طول الدرس بين الأستاذ وطلبته.

ولا ننسى أنه بعد انتهاء الدولة الفاطمية، وتولى صلاح الدين الأيوبى حكم مصر عام ٥٦٧هـ أفتاه قاضيه صدر الدين ابن عبد الملك بن درباس الشافعى بامتناع إقامة خطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعى، فأبطل صلاح الدين الخطبة والتدريس فى الجامع الأزهر، وأقر الخطبة فى الجامع الحاكمى بحجة أنه أوسع، ثم أعيدت إلى الأزهر الدراسة، وكان أول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى رضي الله عنه ، ثم درست المذاهب الأخرى على التتابع، فلما تولى

الملك الظاهر بيبرس حكم مصر عام ٦٥٨هـ لم يلبث أن أعاد الخطبة إلى الجامع الأزهر عام ٦٦٥هـ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧م.

وزاد بيبرس فى بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه، وأقام الأمير عز الدين أيدمر الحلى احتفالا رسميا عظيما فى الجامع الأزهر، ابتهاجا بعودة الخطبة إليه، كما أقام احتفالا عظيما آخر فى داره حضرهما رجال الدولة وقادتها، وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، وتبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص، وجمع له الكثير من التبرعات من الدولة ومن الأمراء، وأخذ فى ترميم مبانيه، وفى عمارته.

ولقى الأزهر من عناية الشعب الشىء الكثير فعاد إلى حلقاته العلمية الازدهار والجلال، وبخاصة بعد أن دمر المغول فى غزواتهم كل معاهد العلم فى العالم الإسلامى، وبعد أن قضى الأسبانيون على المدارس الإسلامية فى الأندلس، ولم يبقى فى العالم الإسلامى على رسالة العلم والثقافة وبناء الحضارة غير الأزهر الشريف.

ولما فتح سليم الأول العثمانى مصر، أخذ يظهر التودد إلى العلماء، والرعاية للأزهر، ويكثر من زيارته والصلاة فيه، وأمر بتلاوة القرآن به، وتصدق على فقراء طلابه.

وفى عام ١٠٠٤هـ - ١٥٩٥م جدد الأزهر والى مصر العثمانى الشريف محمد باشا فى عهد السلطان العثمانى محمد الثالث، ورتب لطلبته الفقراء طعاما يجهز لهم كل يوم، فكان ذلك حافزا كبيرا على زيادة الإقبال عليه.

ولم يكن للأزهر قانون معين، حتى عام ١٢٨٨هـ ١٨٧٢م، ففى هذا العام، وفى عهد شيخه الشيخ محمد العباسى وضع قانون للتدريس فى الأزهر صدر به مرسوم خديوى بتاريخ ١٢٨٧هـ - ٣ فبراير ١٨٧٢م - نص فيه على ما يلى :

١- أن يكون الحصول على شهادة العالمية بامتحان يجرى على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع.

٢- أن يقسم العلماء إلى درجات ثلاث : أولى وثانية وثالثة.

٣- أن تكون العلوم التى يمتحن فيها الطلاب هى : الفقه - الأصول - التوحيد - الحديث - التفسير - النحو - الصرف - البلاغة - المنطق.

ولم يكن يسمح بدخول الامتحان إلا لستة من الطلاب، فإذا ازداد العدد يرجع منهم من امتاز بالشهرة أو بكبر السن.

وفى عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٥م فى عهد الخديوى عباس الثانى وضع قانون جديد للأزهر، ألف بمقتضاه مجلس لإدارة الأزهر من أكابر شيوخه الممثلين للمذاهب الأربعة، ومن ممثل للحكومة.

ولا ننسى أن أقدم أساتذة الأزهر هو القاضى أبو الحسن على بن النعمان (٣٧٤هـ) فهو أول أستاذ ألقى درسا فى الأزهر - ثم تلاه أخوه القاضى محمدابن النعمان (٣٨٩هـ - ٩٩٩م) -ثم ابنه الحسين بن النعمان قاضى الحاكم بأمر الله الفاطمى.

ومن أساتذته أبو عبد الله القضاعى الفقيه والمؤرخ (-٤٥٤هـ - ١٠٦٢م) وكان هو سفير المستنصر بالله الفاطمى إلى قيصرة القسطنطينية "تيودورا" لعقد صلح بين مصر والإمبراطورية الرومانية الشرقية، ومن كتبه "المختار فى ذكر الخطط والآثار".

ومن الأساتذة كذلك الأمير المختار عز الملك محمد المشهور بالمسبحى (-٤٢٠هـ - ١٠٢٩م) وهو من أقطاب العلماء ومشهوريهم وله كتاب بعنوان " أخبار مصر وفضائلها" .

ومنهم كذلك الشاطبى (٥٣٨ - ٥٩٠هـ - ١١٩٤م) إمام القراءات فى عصره.

وممن قام بالتدريس فى الأزهر المؤرخ عبد اللطيف البغدادى (-٦٢٩هـ). وقد قدم على مصر عام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م، وتولى التدريس بالأزهر أعواما عدة، فى موارد الكلام والبيان والمنطق، كما ألقى بعض دروسه الطبية فى حلقات خاصة.

وكذلك الشاعر الشيخ الصوفى الكبير شرف الدين عمر بن الفارض (٦٣٢هـ - ١٢٣٤م)، وابن خلكان شمس الدين (-٦٨٠هـ -١٢٨١م) الذى وفد على القاهرة عام ٦٣٧هـ - ١٢٣٩م.

وكذلك ابن هشام إمام العربية فى مصر (-٦٤٦هـ)، وشيخ المؤرخين ابن خلدون (-٨٠٨هـ - ١٤٠٦م). ولما قدم ابن بطوطة إلى مصر عام ٧٢٦هـ - ١٣٢٥م زار الأزهر، وتعرف بعلمائه وذكر بعضهم، ومنهم : قوام الدين الكرمانى - شرف الدين الزواوى الملكى - شمس الدين الاصبهانى (راجع الرحلة لابن بطوطة ص ٢٥).

وكذلك ممن درسوا فى الأزهر ابن حيان الغرناطى العالم اللغوى المشهور،حيث كان يلقى دروسه فيه. وكذلك المؤرخ المشهور تقى الدين المقريزى.

ومنذ أواخر القرن الثامن قلما نجد شيخا مشهورا أو أستاذا كبيرا، لم يأخذ مجلسه فى الأزهر، وبحسبنا أن ابن خلدون شيخ المؤرخين اتخذ حلقة علمية له فيه، وكان تدريسه فى الأزهر وجلوسه فى حلقاته العلمية، حدثا علميا كبيرا.

وممن درسوا فيه كذلك: تلميذ ابن خلدون المؤرخ المشهور العلامة المغربى محمد تقى الدين الفارسى (-٨٤٢هـ).

ومن شيوخه كذلك: الإمام شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى (-٩٥٠هـ - ١٥٤٣م) ، والشيخ الخرشى المالكى شيخ الجامع الأزهر (-١١٠١هـ - ١٦٨٩م)، والشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى (-١١٠٦هـ - ١٦٩٥م) وكان من شيوخ الأزهر الشريف ، والشيخ حسن بن على الجبرتى (-١١١٦هـ - ١٧٠٤م) وهو جد المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجبرتى.

ومنهم كذلك العلامة المغربى شهاب الدين المقرى (-١٠٤١هـ - ١٦٣٢م) وقد وفد على مصر عام ١٠٢٧هـ - ١٦١٨م ومنذ ذلك التاريخ لازم التدريس فى الجامع الأزهر، وأقبل على حلقته العلمية الأساتذة والطلاب.

ومنهم كذلك الشيخ الإمام الصوفى عبد الغنى النابلسى الذى زار مصر عام ١١٠٥هـ، والذى تصدر حلقة علمية من حلقاته، وكذلك مرتضى الزبيدى اليمنى صاحب شرح القاموس، وكان من كبار العلماء فى الحديث واللغة والأدب، وكتابه "تاج العروس من جواهر القاموس" مشهور، وقد ترجم له تلميذه الجبرتى فى تاريخه (٢ص ٢٠٨ - ٢٢٠عجائب الآثار للجبرتى).

ومن أعلام شيوخه ومدرسيه الإمام محمد عبده (-١٩٠٥م)مفتى مصر. ومصلح الأزهر. ومنشىء مكتبته، وواضع أهم قوانينه. وكان يلقى دروسه فى التفسير فيه فى الرواق العباسى.

وممن تخرجوا فيه أو درسوا فيه طائفة كبيرة من أعلام نهضة مصر، ومنهم الزعيم أحمد عرابى، وسعد زغلول، وعبد الله فكرى باشا (-١٨٨٩م)، والمنفلوطى (-١٩٢٤م)، والشيخ محمد شاكر (-١٩٣٩م)، والشيخ عبد العزيز البشرى (١٩٤٣م). والشيخ أحمد الزين، و د.زكى مبارك (-١٩٥٢)، وطه حسين، وأحمد حسن الزيات. وغيرهم.

ومن أعلام المتخرجين فيه كذلك: الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى (-١٨٨٨م) - والشيخ حسين المرصفى (-١٨٨٩م)، والشيخ حمزة فتح الله (-١٩١٨م) والشيخ سيد المرصفى (-١٩٣١)، وغيرهم.

وقد تولى مشيخة الجامع الأزهر منذ العصر العثمانى إلى اليوم ثمانية وأربعون شيخا. أولهم الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى الملكى المتوفى فى ١٧ من ذى الحجة عام ١١٠١هـ.

ومنهم الشيخ البرماوى (-١١٠٦هـ) والنشرتى (-١١٢٠هـ)، والشيخ عبد الله الشبراوى إمام الصوفية فى عصره (١٠٩٢ - ١١٧١هـ) ومنهم الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى (١١٥٠- ١٢٢٧هـ: ١٧٣٧ - ١٨١٢م) والشيخ حسن العطار (-١٢٥٠هـ، والشيخ مصطفى العروسى، والشيخ محمد العباسى المهدى، والشيخ محمد الإنبابى. والشيخ حسونه النواوى، والشيخ سليم البشرى المتوفى فى ١٧ من أكتوبر عام ١٩١٧م، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى ثم الشيخ المراغى، والشيخ الأحمدى الظواهرى، والشيخ المراغى للمرة الثانية حتى توفى عام ١٩٤٥، ثم الشيخ مصطفى عبد الرزاق (-١٩٤٨)، فالشيخ مأمون الشناوى، فالشيخ إبراهيم حمروش،فالشيخ عبد المجيد سليم. فالشيخ محمد الخضر حسين، فالشيخ محمود شلتوت، فالشيخ حسن مأمون، فالشيخ محمد الفحام، فالشيخ عبد الحليم محمود، فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار شيخه الحالى.

ولا ننسى ثورات الأزهر الوطنية، ثورة الشيخ الدردير التى وضعت أول ميثاق لحقوق الإنسان، وثورة الشيخ عبد الله الشرقاوى التى ألزمت الحكام المماليك بالعدالة فى معاملة الشعب، ثم ثورة عرابى، وثورة عام ١٩١٩، وهما اللتان أيدهما الأزهر وشارك فيهما مشاركة فعالة .. ولا ننسى كذلك ثورة القاهرة الأولى والثانية التى قام بها الأزهر من أجل تحرير مصر من الاحتلال الفرنسى.

وبعد، فهذا هو الأزهر، وهذا هو تاريخه الحافل، فى بناء الثقافة والفكر والحضارة فى مصر الإسلامية، بل فى العالم الإسلامى كافة. ولا يزال الأزهر يتصدر حتى اليوم الجامعات الإسلامية فى العالم الإسلامى.

وسوف تحتفل مصر الخالدة بالعيد الألفى للأزهر بعد شهور قليلة، لتقدم باسمها وباسم العالم الإسلامى لهذه الجامعة العريقة كل عرفان بالفضل، وتقدير للصنيع، على ما قام به طوال ألف عام من بناء للفكر وللوطن وللإنسان.

الأزهر الجامعة الإسلامية الكبرى

(١)

نستطيع أن نقول أن أقدم الجامعات الإسلامية هى الحلقات العلمية التى كانت تنعقد فى مسجد رسول الله ﷺ فى عهد صاحب الرسالة العظمى بعد هجرته إلى المدينة المنورة ﷺ ، وفى مختلف العصور الإسلامية حتى العصر الحديث.

وقد قامت الحلقات العلمية فى المسجد الحرام بعد فتح مكة فى العام الثامن للهجرة النبوية، وتصدرها كبار الصحابة ثم التابعون من بعدهم، ثم تابعو التابعين، واستمرت هذه الحلقات تؤدى رسالتها فى خدمة الثقافة الإسلامية، والفكر الإسلامى، وشباب المسلمين، فى مختلف العصور حتى العصر الحديث، وكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثانى جامعة إسلامية كبرى.

ثم بعد أن بنيت مدينة الفسطاط وبنى فيها جامع الفتح، الذى سمى تاج الجوامع، أو جامع عمرو بن العاص لم يلبث أن قامت فيه حلقات علمية كبيرة، كان منها مثلا حلقة عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم حلقة الليث بن سعد، وحلقة الإمام الشافعى، وغيرهم، فكانت هذه الحلقات العلمية تشكل ثالث جامعة إسلامية كبيرة فى بلاد الإسلام.

وقبل إنشاء الأزهر كان جامع عمرو هو المكان المختار لإلقاء الدروس العلمية، فقد كان عركزا اتخذه الصحابة والتابعون لنشر الدين والعلم ولإقامة الحلقات العلمية فيه، وأخذت الحركة العلمية فى هذا المسجد تنمو وتتسع حتى أمه الكثير من العلماء والأعلام الذين تركوا ثروة جليلة من الكتب والتأليف، كما كان لتلك الحلقات فضل إخراج عدد كبير من الفقهاء والمحدثين حتى أوائل القرن الرابع الهجرى، وأشهر هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن وهب وسعيد ابن الصلت ويحيى بن أزهر وسعيد بن عبد الرحمن.

وكانت الدراسة فى أول أمرها دراسة دينية فقهية قامت فى الزوايا التى أنشئت على مر السنين بالجامع العتيق. وأشهر تلك الزوايا، زاوية الإمام الشافعى التى

كان الناس يهرعون إليها لسماع شروح الإمام ومحاضراته والتي تخرج فيها عدد من أعظم الفقهاء والعلماء في ذلك العهد. ثم بنى محمد الدين أبي المحاسن الازدى البهنسي الشافعي، وزير الملك الأشرف موسى بن العادل أيوب، زاوية سميت الزاوية المحمدية، ورتب في تدريسها قاضي القضاة وجيه الدين عبد الوهاب البهنسي وأوقف عليها عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ثم الزاوية الصاحبية التي أنشأها صاحب التاج محمد بن فخر الدين، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي والأخر شافعي وجعل عليها وقفا بظاهر القاهرة، ثم حذا حذوه كثير من الأمراء وذوى اليسار المهتمين بالعلم، فما وافى عام ٧٤٩هـ حتى زادت حلقات جامع عمرو على الأربعين حلقة.

وكانت هذه الحلقات العامة والخاصة منها تؤدى رسالتها، فالعامة منها ما كان يقام يوميا بجامع عمرو والخاصة في يوم الجمعة الذى كانت حلقته تفوق حلقات بقية الأيام أهمية، إذ كان يوم الجمعة هذا يعد موسما علميا هاما، يهرع الناس فيه لسماع أكبر عدد من الفقهاء والشعراء والأدباء، وهم يتناقشون ويتباحثون في الفقه واللغة ويتطارحون الشعر ويروون الأخبار.

أما الحلقات الخاصة فهي التي كانت تعقد في منازل أكابر العلماء والفقهاء حيث كانوا يجتمعون بتلاميذهم وأصدقائهم يقرأون عليهم بعض شروح الفقه الإسلامي وبعض كتب العبادات ويروون بعض الأشعار. وقد تألفت بعض تلك الحلقات، اشتهر منها حلقة ببيت عبد الله بن الحكم الفقيه المالكي وولديه عبد الرحمن ومحمد وكانوا من أنبغ الفقهاء المحدثين حتى أوائل القرن الثالث. وكانت حلقاتهم موضع التقاء أكابر العلماء والأدباء المعاصرين الذين كانوا يفدون على مصر من مختلف الأقطار، فما أن وفد الإمام الشافعي إلى مصر، حتى وجد من تلك الأسرة كل عناية ورعاية وإكرام. فلما أقام حلقته في جامع عمرو، كانوا هم أول من شجعه وحضر درسه.

وظل التدريس في جامع عمرو على هذا المنوال عامر الحلقات، وموضعا لنشر العلم والتعليم مدة طويلة، واقتفى أثره كثير من الجوامع الشهيرة كجامع أحمد

بن طولون، فلم يأت القرن الرابع حتى كان العلم فى جامع عمرو قد وصل إلى مرحلة مثلى بفضل من كان يؤمه من أقطاب الفقه واللغة، وأشهر هم أبو القاسم ابن قديد وتلميذه الكندى الذى ترك كتابا عظيما فى تاريخ ولاة مصر ومن تولى قضاءها - وأبو القاسم بن طباطبا الحسنى الشاعر.

فلما أن كان عصر الأمير بن طغج الأخشيدى، أصبحت مجالس الدراسة والحلقات الأدبية الخاصة من تقاليد الحياة الرفيعة. وقد لقيت العلوم والآداب بفضل هذا الأمير وولده أنوجور ووزيره كافور وكثير من أمراء الدولة كل حماية ورعاية. وكانت حلقة الشاعر أبى الطيب المتنبى الذى وفد على مصر عام (٣٤٦هـ - ٩٥٧م) على أثر مفارقته لبلاط سيف الدولة فى حلب، من أهم حلقات الشعر والأدب واللغة فى ذلك العهد.

ثم قامت حلقات المسجد الأموى بدمشق، وفى مساجد البصرة والكوفة وبغداد وفى مسجد القيروان، وفى غيرها من المساجد الكبرى، ولكن هذه الحلقات لم يكتب لها الدوام والاستمرار ما عدا حلقات مسجد القرويين بفاس بالمغرب.

وكان إنشاء الأزهر عام ٣٦١هـ وقيام الحلقات العلمية فيه منذ إنشائه حتى اليوم وطيلة ألف عام معجزة من معجزات الثقافة الإسلامية التليدة الخالدة، لأن الأزهر اليوم هو أم الجامعات الإسلامية، وهو الذى يمدها بالتوجيه وبالأساتذة. وبالخطط العلمية المدروسة.

وقامت بعد ذلك الجامعة النظامية التى أسسها الوزير نظام الملك وزير السلطان السلجوقى الب أرسلان وصديق الشاعر الصوفى الكبير عمر الخيام، وذلك عام ٤٥٧هـ، ثم الجامعة المستنصرية فى بغداد، كما قامت جامعات إسلامية أخرى فى نيسابور ودمشق وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة وغيرها من عواصم العالم الإسلامى، ولكنها اندثرت ولم يبق منها شىء.

والأزهر على أية حال هو الصورة المشرقة لكل الجامعات الإسلامية، وهو الذى يلخص تاريخ الحضارة الإسلامية كلها طيلة ألف عام، فقد ازدهر بازدهارها وضعف بضعفها، ولأنه لم يكن جامعة إسلامية لمصر وحدها، بل كان جامعة إسلامية

للعالم الإسلامى كافة، يؤمه طلاب العلم من كل مكان فى بلاد الإسلام. وهو مفخرة المفاخر حظا، لأنه روح الحضارة الإسلامية ودرعها الواقى. وبحسبنا أنه كان موئل العربية وملاذها الأمين.

(٢)

والفاطميون هم الذين أنشأوا الأزهر فى مصر، إثر فتحهم لها مباشرة، حيث أمر قائد الفتح جوهر الصقلى عام ٣٥٩ هـ بالبدء فورا فى إنشائه، لا ليكون مكانا للعبادة والصلاة فحسب، ولكن ليكون منبرا دينيا للدولة الفاطمية لنشر الفاطمية لنشر مذهبها وعقائدها مع ذلك أيضا.

وقد شرع فى بناء الأزهر فى الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ - ٩٧٠م، وأقيمت الصلاة فيه أول مرة فى اليوم السابع أو التاسع من رمضان عام ٣٦١هـ - ٩٧٢م، واختير لبنائه مكان فى الجنوب الشرقى من القاهرة بالقرب من القصر الكبير بين حى الديلم وحى الترك.

وسمى الأزهر لأنه كان محاطا بقصور زاهرة، ولأنه كان أكبر الجوامع على الإطلاق فخامة ورواء، وقد ذهب المؤرخين إلى القول بأنه سمى باسم فاطمة الزهراء التى ينتسب إليها الفاطميون، ويقال إنه سمى كذلك تفاؤلا بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه.

وما كاد جوهر يضع أساس القاهرة إذن، حتى كان بعد تسعة شهور بناء المسجد يتلقى الناس فيه عقائد المذهب الفاطمى.

والأزهر أول مسجد أنشىء بالقاهرة المعزية، وعندما أنشأه جوهر الصقلى ترك أمامه رحبة واسعة فكان الخلفاء حين يصلون بالناس بالجامع الأزهر، تدخل العساكر كلها وتقف فى الرحبة حتى يدخل الخليفة إلى الجامع. وبقيت هذه الرحبة إلى وقت الدولة الأيوبية. ثم شرع الناس بالعمارة فيها حتى لم يبق لها أثر. وكان الأزهر كسائر الجوامع الإسلامية فى العصر الذى بنى فيه يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر غير مسقوف يسمى صحنا.

ويقول المقريزى أن أول ما درس فى الأزهر من العلوم، هو الفقه الفاطمى على مذهب الشيعة، ففى صفر عام ٣٦٥هـ جلس قاضى مصر أبو الحسن على ابن النعمان بن محمد بن حتون بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت (فقه الشيعة) ويعرف هذا المختصر (بالاقتصار) وقد حضر هذا الدرس عدد عظيم من الناس. وأثبت أسماء الحاضرين.

وذكر لنا المقريزى وصفا حيا لصلاة الجمعة، كما كان يقيمها الخلفاء الفاطميون فى الجامع الأزهر فى شهر رمضان : فكان صاحب بيت المال يذهب مبكرا إلى الأزهر ليشرف بنفسه على تنظيفه وتنظيمه وإعداده لصلاة الجمعة للخليفة. فيفرش الحرم بالسجادات اللطيفة والحصر، ثم تغلق أبواب المسجد ويجعل عليها الحجاب والبوابون. وكانت توضع فى المقصورة ثلاث طنافس دمقسية أو سامانية بيضاء بعضها فوق بعض، وتوضع فوق الجميع الحصيرة التى يقال أنها كانت لجعفر الصادق وأحضرت إلى مصر سنة ٤٠٠هـ-١٠٠٩م فى عهد الحاكم بأمر الله، وكان ينصب على جانبى المنبر ستران أحمران رقيقان كتب على الأيمن البسملة والفاتحة وسورة الجمعة وعلى الأخر البسملة والفاتحة وسورة المنافقين، ويقوم قاضى القضاة قبل قدوم الخليفة بتبخير القبة التى يقف تحتها الخليفة وقت إلقاء الخطبة، وكان يضعها أحد كتاب البلاد. وكان الخليفة فى هذا اليوم يرتدى ثوبا من الحرير الأبيض، ويتعمم بعمامة من الحرير الأبيض الدقيق كذلك، ويحمل فى يده قضيب الملك ويحف به عدد كبير من الأشراف والعلماء والعسس وحرسه الخاص.

وكان الخليفة يركب بين قرع الطبول ورنين الصنوج وقراءة القرآن بنغمات شجية، بعد أن سلم لكل واحد من مقدمى الركاب أكياس الذهب والفضة، ويستمر الحال كذلك إلى أن يصل الخليفة إلى قاعة الخطابة ويظل فى القاعة حتى ينتهى الآذان. حينئذ يخرج ويأخذ مكانه تحت قبة المنبر. فيقف الوزير على باب المنبر ووجهه للخليفة، فإذا أومأ إليه صعد فقبل يدى مولاه ورجليه وزر سترى الحرير عليه. وبذلك يكون المنبر والقبة كالهودج، ثم ينزل الوزير وينتظر على باب المنبر ، فإذا لم يكن الوزير صاحب السيف، فإن قاضى القضاة هو الذى يزر السترين. وكانت الخطبة

التى يلقيها الخليفة قصيرة تشتمل على آية من القرآن. ثم يذكر الخليفة نفسه بعد الآية، ثم قومه بعبارة موجزة فيقول:

" رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والداى وأن أعمل عملا صالحا ترضاه، وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين" ويدعو بعد ذلك لوالده وجده ولمحمد ﷺ ، ولعلى رضي الله عنه . ثم يختم الخليفة الخطبة بالدعاء للوزير وبنصر الجيش وخذلان الكفار والمشركين فإذا فرغ من خطبنه قال : " أذكروا الله يذكركم" ثم يصعد الوزير فيحل السترين، ثم يأخذ الخليفة فى الصلاة، فيبلغ الوزير عنه ثم قاضى القضاة، ثم المؤذنون، فإذا ما انتهت الصلاة، يخلو الجامع من الناس ويخرج الخليفة يحيط به الوزير عن يمينه وقاضى القضاة عن يساره ويعود بموكبه إلى قصره.

وقد كانت الخطابة فى عصور الأزهر الأولى من مهام الخليفة فنجد المعز لدين الله يلقى الخطبة بنفسه مكتسبا صفة الإمامة، متخليا بعض الشىء عن صفة الخلافة، بل نجده فى كثير من الأحيان وأثناء قيامه بواجباته الدينية حريصا على إمامته، ضنينا من أن يؤديها غيره، بل نراه يحاول أن يتشبه بالنبى، والخلفاء الراشدين الذين كانوا يقومون بأنفسهم بإلقاء خطبة الجمعة فى الجامع. ومما ساعده على ذلك ما كان عليه المعز من صفات الخطباء، فقد كان مفوها فصيحا ذا تأثير سريع قوى فى سامعيه، وكثيرا ما ذهب بالناس إلى حد البكاء بقوة وعظه وعظم بلاغته.

وحذا حذو المعز كثير من الخلفاء الفاطميين، فكانوا يلقون الخطبة بأنفسهم وعلى الرغم من حب الحاكم بأمر الله للمواكب العظيمة، كان ينيب عنه وزيره فى صلاة الجمعة، لأنه كان يريح عليه فى الخطبة، وكذلك كان فى العصور المتأخرة، أيام الخلفاء الضعاف، فأصبح للجامع الأزهر خطيب خاص به يلقى الخطبة بين يدى الخليفة فى أيام الجمع والموالد التى كانت تحتفل بها مصر فى كل عام، وهى المولد النبوى ومولد على بن أبى طالب ومولد زوجته فاطمة الزهراء ومولد ولديها الحسن والحسين، ثم مولد الخليفة القائم. ولم يقتصر خطيب الأزهر على ذلك. بل كان يخطب فى ليالى الوقود الأربعة متقدما على خطباء المساجد الأخرى.

وكانت وظيفة خطيب الجامع الأزهر تعد من الوظائف الدقيقة التى يحاول أن يرتفع إليها كثير ممن يتولون مناصب الدولة الكبيرة، وذكر ابن ميصر أن وظيفة الخطابة بالجامع الأزهر قد أسندت عام ٥١٧هـ إلى داعى الدعاة أبى الفخر صالح.

وكان نظام الحلقات الذى كان متبعا فى تلك الحقبة من الزمن هو النظام الوحيد للدراسة الممتازة، وكان أساس الحياة العلمية والفكرية فى مصر. فلما أن تحول الجامع الأزهر إلى جامعة منذ إنشائه، اتخذت الدراسة فيه طابع الحلقات الموجودة فى ذلك الوقت، إذ لم يكن قد استعيض عنه بنظام آخر. وبانتقال هذا النظام إلى الأزهر انتقلت معه دراسة العلوم بمختلف أنواعها، فازدهرت فيه وترعرعت.

(٣)

انتهت الدولة الفاطمية التى كانت تولى الأزهر كل عنايتها، وجاء عهد الدولة الأيوبية، وفى عهد صلاح الدين الأيوبى أهمل الأزهر وقطع الكثير مما أوقفه عليه الحاكم بأمر الله، ويذكر لنا المقريزى أن صلاح الدين سيف بن أيوب قلد وظيفة القضاء للقاضى صدر الدين بن عبد الملك بن درباس الشافعى فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع إقامة الخطبتين فى بلد واحد كما هو مذهب الإمام الشافعى، فأبطل الخطبة والتدريس فى الجامع الأزهر، وأقر الخطبة بالجامع الحاكمى، بحجة أنه أوسع. فأهمل الأزهر منذ ذلك التاريخ وامتدت يد المغتصبين إلى أوقافه، وأخذت جدرانه وأركانه فى التداعى، ثم أعيد إلى الجامع الدرس. وأول ما درس به من مذاهب أهل السنة مذهب الإمام الشافعى ﷺ. ثم أدخلت إليه المذاهب الأخرى تباعا، وانقضى نحو قرن من الزمان قبل أن يستعيد الجامع الأزهر عطف الولاة ووجوه البلاد عليه، فلما تولى الملك الظاهر بيبرس سلطنة مصر تحدث فى مسألة إعادة الخطبة إلى الجامع الأزهر. ولكن قاضى القضاة إن ثبت العز الشافعى امتنع عن إعادتها فعزله السلطان وولى مكانه قاضيا حنفيا فأعيدت الخطبة عام ٦٦٥هـ (١٢٦٦ –١٢٦٧م) وزاد بيبرس فى بناء الجامع وشجع العلم والتعليم فيه، كما حذا

حذوه كثير من أمرائه أشهرهم الأمير عز الدين أيدمر الحلي. الذى أقام احتفالا رسميا عظيما فى الجامع الأزهر، ابتهاجا بعودة الخطبة إليه، كما أقام احتفالا فاخرا فى إدارة حضرة رجال الدولة والأمراء والكبراء .. وكان هذا الأمير يجاور الأزهر بسكناه، فلمس ما وصل إليه حاله من التأخر والاضمحلال، فعزم على إصلاحه، فانتزع له ما اغتصب مما أوقف عليه، وتبرع له بمبلغ كبير من ماله الخاص. وجمع له من الأمراء الكثير من المال، بجانب ما أطلق من يد السلطان، وشرع فى عمارته، فأعاد بناء الواهى من أركانه وجدرانه وسقوفه وبلطه وفرشه بالحصر وكساه فعاد إلى عظمته الأولى كما استجد به مقصورة حسنة الصنع، وقد عاد إثر ذلك ومنذ ذلك العهد إلى الجامع الأزهر ما كان له من صيت فذو وأصبح معهدا علميا يؤمه الناس من كل فج ولقى الأزهر من عناية الشعب الكثير، وزاد فى مجده إن غزوات المغول فى الشرق قضت على معاهد العلم فيه، وإن الإسلام أصابه فى المغرب من التفكك والانحلال ما أدى إلى دمار مدارسه الزاهرة.

وفى عام ٨٠٢هـ (١٣٠٢ — ١٣٠٣م) خرب مصر زلزال عنيف فسقطت معظم جوامع مصر ومن ضمنها الجامع الأزهر والجامع الحاكمى وجامع عمرو. فسارع أمراء الدولة إلى تجديدها، فكان الأزهر من نصيب الأمير سيف الدين سلار (من رجال دولة المماليك البحرية) وكان ثريا، فجدد مبانيه وأعاد ما تهدم منها.

وفى عام ٨٠٩هـ (١٣٠٩ — ١٣١٠م) انتهى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندارى (نقيب الجيوش) من إنشاء المدرسة الطيبرسية (دار الكتب الأزهرية الآن) وجعلها مسجدا، وقرر بها درسا لفقهاء الشافعية، وتأنق فى رخامها وتذهيب سقوفها وجميعه على أشكال المحاريب، وفرشها ببسط منقوش بشكل المحاريب كذلك، جعل فى المدرسة خزانة كتب كبيرة،

وفى العهد العثمانى نال الأزهر ما ناله من الإهمال. فقد قضى السلطان سليم على معالم الحضارة الشرقية عامة والمصرية خاصة، فانتزع من مصر جميع نفائسها وكتبها، وأرسلها إلى القسطنطنية. على أن الأزهر نال بعض الاهتمام من الفاتح سليم، وأظهر له بعض الرعاية، وأكثر من زيارته والصلاة فيه. وأمر بتلاوة القرآن

به، وتصدق على فقراء المجاورين، كما زاره السلطان عبد العزيز خان فيما بعد. وفى عام ١٠٠٤هـ — ١٥٩٥م حدد الشريف محمد باشا والى مصر فى عهد السلطان العثمانى محمد الثالث الأزهر، ورتب لطلبته الفقراء طعاما يجهز كل يوم، فكان ذلك حافزا للطلبة على أن يؤموه من جميع البلاد. شرقا وغربا وفى عام ١١١٥هـ — ١٦٩٢م أوقف عليه محمد باى بن مراد حاكم ولاية تونس أوقافا جليلة، كما جدد الأمير إسماعيل بك القاسمى ابن الأمير إيواظ بك القاسمى المتوفى عام ١٣٣٦هـ — ١٧٢٣م سقف الجامع وكان قد آل إلى السقوط.

عاشت مصر فى أعقاب غزو العثمانيين لها فى ظلام دامس زهاء الثلاثة قرون. ففى مدة الثمانية أشهر التى قضاها الفاتح سليم فى مصر، سلب البلاد جميع نفائسها وآثارها وكتبها ومؤلفاتها الخطية لأعلام فتيانها مثل ابن إياس والمقريزى والسخاوى والسيوطى كما أرسل إلى بلاده أمهر العمال والفنانين والكتاب فى مصر.

ولم يكن الأزهر أقل من غيره تأثرا بتلك الحركة فقل فيه العلماء التابهون، وانعدم الإنتاج الفكرى والأدبى وأهملت فيه دراسة العلوم الرياضية إهمالا تاما.

ولكنا لا نستطيع أن ننكر أن الأزهر قد بذل مجهودا جبارا فى الاحتفاظ بمكانته التليدة وهيبته العظيمة حتى فى نفوس الغزاة أنفسهم، فترى الفاتح سليم يؤدى له الزيارة مرارا، بل كان حكام مصر الأتراك يلجأون وقت الشدة إلى علماء الأزهر وشيوخه يلتمسون منهم العون والمساعدة عند شبوب الثورات أو قيام الفتن.

وقد وجدت اللغة العربية لنفسها مأوى طيلة الحكم العثمانى لمصر. ثم ابتدأت بمجرد انقشاع ذلك الحكم فى الظهور والنمو. فقد استمرت مصر ملاذا لطلاب العلوم الإسلامية واللغة العربية، يؤمه هؤلاء الطلاب من جميع البلاد الإسلامية. وهكذا استطاع الأزهر منذ أوائل القرن التاسع عشر أن يحيا حياة جديدة. وكانت مهمة الأزهر تلك فى الاحتفاظ باللغة من الصعوبة بمكان. بل يعتبرها المؤرخون أعظم ما وفق الأزهر لإسدائه من خدمات لعلوم الدين واللغة والفقه خلال القرون الثلاث المظلمة، بل لعلها أعظم ما قام به الأزهر منذ إنشائه إلى الآن.

وقضت حملة نابليون عام ١٧٩٨م على الحكم التركى فى مصر. وعلى الرغم من أنها لم تستمر فى مصر أكثر من عامين إلا أنها تركت أثرا عميقا فى جميع النواحى العقلية والعلمية. فقد ضمت الحملة العلماء والأطباء والمهندسين. خلفوا لنا بعد أن بارحوا الأراضى المصرية كثيرا من الأبحاث والدراسات كانت دعامة لمن أتى بعدهم من الباحثين فأنشأوا معامل كيميائية ورسموا خرطا جغرافية وعملوا أبحاثا طبية، لمس فيها علماء مصر ومفكروها مظاهر حضارة جديدة لم يعرفوها من قبل. كما أحضرت الحملة، المطبعة وأنشأت الصحف والمدارس والمكتبات العامة وعنيت بالفنون الجميلة والبحث عن الآثار القديمة فتيقظ فى الناس الشعور بحاجتهم إلى التهذيب الخلقة والرقى الفكرى والعلمى ثم إلى الاستقلال الذى شغلوا به فى هذا العهد الحديث.

(٤)

فلما جاء محمد على باشا الكبير وجه عنايته إلى التعليم العملى وحمل الناس عليه حملا، ولم يكن فى مصر كلها فى ابتداء عهده معهد محترم إلا الأزهر حيث كانت تدرس العلوم اللغوية والدينية بذلك الأسلوب العتيق، وإلا تلك (الكتاتيب) المنبثة فى القرى حيث تحفظ القرآن وتدرس الكتابة والقراءة بالرهبة لا بالرغبة. وحول ذلك جهالة منتشرة وخرافات ذائعة.

حاول محمد على أن يقيم بناءا جديدا للحكم الجديد مسترشدا فى ذلك بالأفكار الأوربية، ولم يغفل الأزهر بل جعله موضع عنايته ورعايته فاحترم علماءه وقربهم منه. على أنه لم يكن فى مقدوره الاحتفاظ بالأزهر بمقام خاص، فقد كان رجل عمل ينشد الإصلاح ويعمل له، وكانت الروح التركية قد طغت على الروح العربية وأطفأتها، وظل المصرى المظلوم عهدا طويلا يمقت استبداد الترك به، فأدرك محمد على بذكائه وفراسته أن الأزهر فى وضعه الحالى لا يتفق مع الروح الجديدة التى ابتدأت تشع فى نفوس المصريين ولا مع آماله فى أن يجعل مصر دولة عظيمة فتية أوروبية.

وقد اضطرت الحكومة فى عهد محمد على إلى الاستيلاء على أوقاف الأزهر الواسعة، وذلك لمصلحة الدولة، على الرغم من أن هذه الممتلكات كانت وقفا لا يجوز التصرف فيه. فأضر هذا العمل بالأساتذة والطلاب وما وافى عام ١٨٢٦م، حتى كان محمد على قد نجح فى إرسال عشر بعثات علمية متوالية إلى باريس ولندن وفيينا، بلغ عدد طلابها ثلاثمائة صرف عليهم ما يزيد على نصف مليون من الجنيهات واختار أعضاء تلك البعثات من صفوة طلبة الأزهر. فتلقوا العلم هناك على أحدث طريق وأرقى أسلوب ودرسوا القانون العلوم السياسية واللغات والهندسة والطب والكيمياء والرياضيات والفنون العسكرية والفنية وذلك فى وقت أهمل الأزهر فيه دراسة كثير من المواد الهامة كالرياضيات والحساب والتاريخ والجغرافيا والطبيعة.

وهكذا أنشأت بمصر طبقة من المفكرين والعلماء والأدباء. أخذوا قسطا وافرا من العلوم الحديثة. إذ ما كاد هؤلاء يعودون إلى ديارهم حتى عادت تلك العلوم إلى مكانتها السابقة بين العلوم التى يهتم الأزهر بدراستها، بل أصبحت الطريق الوحيد أمام دارسها ليصل إلى الشهرة ومناصب الدولة الرفيعة فانتعش الأزهر ونفض عن نفسه ثوب الخمول والركود الذى لبسه طيلة الحكم العثمانى، وأخذت الكتب الأوربية عامة والفرنسية خاصة تترجم إلى اللغة العربية وتدرس بإمعان فى الأزهر وإن اضطر أولى الشأن إلى ابتكار الكثر من الألفاظ الجديدة والاصطلاحات الحديثة والأساليب العصرية التى كان الأزهريون يسخرون منها.

ولم تقتصر جهود محمد على على إرسال البعثات إلى الخارج والعناية بما يدرس بالأزهر، بل أنشأ الكثير من المدارس الخاصة كالطب والهندسة والألسن والفنون وكثيرا من المدارس الابتدائية والتجهيزية. فأضر ذلك الأزهر ضررا بليغا. فنافست تلك المدارس الأزهر منافسة وحولت عنه كثير من طالبى العلم.

وكان الأزهريون يعتبرون من عاد من أعضاء البعثات الأوربية متفرنجا وظلوا يسخرون من المصريين الذين تعلموا فى أوربا.

وظل الحال على هذا المنوال فى عهد إبراهيم باشا وعباس الأول وسعيد باشا، إلا أن حركة الإصلاح كانت قد فترت وظهرت فكرة الجمود والاستبداد فى

الحياة العلمية والأدبية والفكرية. فقد كان عباس باشا لا يهتم كثيرا بشئون التعليم وإن كان الأزهر قد حظى ببعض زياراته، إلى أن حدث الانقلاب الكبير فى عهد إسماعيل.

وربما كان إسماعيل مدفوعا إلى هذا الانقلاب بتلك النزعة القوية التى كانت تختلج فى نفسه والتى كانت ترمى إلى إقامة دولة عربية مصبوغة بالصبغة الأوربية مكان تلك الدولة التى تتألف من رعية عربية وراعى عثمانى.

وكان لابد لتحقيق أغراضه، من إصلاح الأزهر إصلاحا يتفق والأراء الجديدة، فقام إسماعيل بتأييد الشيخ محمد العباسى المهدى الحنفى شيخ الجامع الأزهر وكان فقيها ذكيا مستنيرا واسع الخبرة، بإصدار قانون للأزهر، كان الغرض منه رفع مستوى الأساتذة والمجاورين، ولما كان قضاة المحاكم الشرعية ومفتوها يعينون من العلماء، مست الحاجة إلى العناية بمتخرجى الجامع الأزهر، وكان نظامه قد أخذ فى الانحلال سنة بعد سنة لأسباب تكاد تكون طبيعية، مرجعها تطور الهيئة السياسية. وتبدل أحوال الأمة رويدا رويدا، وفقدان قاعدة الرقى المناسب لهذه الحالة فى الجامع الأزهر. حتى ادعى العلم من ليس من أهله وتظاهر بطلبه كل فار من خدمة الجيش، فشوهد فيه تلاميذ يربو سنهم على الستين وعلماء لا يعرفون من العلم إلا أسماء العلوم ورأى الشيخ محمد العباسى شيخ الجامع وجوب وقاية العلم وأهله من هذا ابلاء المقبل فوضع قانونا للتدريس وصدرت بإنفاذه إدارة سنية بتاريخ ٢٣ ذى القعدة من عام ١٢٨٧هـ - ٣ فبراير عام ١٨٧٢م قضى هذا النظام:

١- أن يكون نيل العالمية بالامتحان على يد لجنة من العلماء يختارهم شيخ الجامع.
٢- وأن ينقسم العلماء إلى ثلاث درجات أولى وثانية وثالثة.
٣- وان يصدر بذلك يبور ولدى عال.
٤- وأن يمتاز أرباب الدرجة الأولى بكسوة تشريف ينعم بها من لدن الجناب العالى.
٥- وأن العلوم التى يمتحن فيها الطلاب هى :

الفقه – الأصول – التوحيد – الحديث – التفسير – النحو – الصرف – المعانى – البيان – البديع – المنطق.

وأراد الشيخ العباسى المهدى بهذا القانون أن يبعد عن الأزهر العناصر التى لا تتميز بالكفاءة والجدارة. وكان لابد من تحسين حال الأساتذة بتقرير رواتب ثابتة لهم.

وتأثرت تلك الإصلاحات بالأفكار الأوروبية. وعلى وجه أدق بالأراء الفرنسية التى تبدو فى برامج الدراسة وفى تقرير أداء الامتحان عند التخرج، وكان هذا أمرا جديدا بل حدثا بالنسبة للأزهر. وقد ألفت لجنة من ستة أعضاء وعينت المواد التى يجب أداء الامتحان فيها وتقرر للطلاب مكافآت دراسية، وأخذ التنافس والتشاحن على الأمور التافهة يقل بعد أن كان شائعا بين جميع الطوائف الأزهرية.

والحق أن عصر إسماعيل كان عصرا رائعا فى تاريخ الأزهر، فقد تفتحت فيه ثمار النهضة الحديثة وابتدأ الأزهر يفيق من سباته الطويل ويتطلع بدوره إلى فهم الروح الجديدة وإن كان ببطء. وكان للسيد جمال الدين الأفغانى أثر كبير فى إنماء هذه النهضة، فقد كان لحلقاته الشهيرة التى كان يشرح فيها كثيرا من علوم الكلام والفقه والفلسفة والمنطق بأسلوبه العصرى المبتكر أثر عظيم فى نفوس من استمع إليه فى ذلك الحين طلاب الأزهر وشيوخه.

وكانت الشهادة التى تعطى للعالم فى نهاية دراسته تكتب فى المعية السنية متوجة بختم الخديوى، كما يخلع عليه الخديوى "فراجية" وشريطا مقصبا يجعله فى عمامته فى مواضع تشريف، ويكتب للجهات باحترامه وتوقيره، ولم يكن يسمح بالامتحان إلا لستة طلبة، فإذا ازداد العدد يرجع منهم من امتاز بالشهرة أو بالوجاهة أو كبر السن.

ولكن الظروف كانت أشد من المصلحين قوة بعد أن ابتدأ الأزهر يصيب أول قسط من الإصلاح، فقد قامت بالأزهر طائفة برئاسة الشيخ المالكى محمد عليش تعارض كل إصلاح، وأقاموا أنفسهم خصما عنيدا للشيخ العباسى وأخذوا يقاومون تلك الإصلاحات، ولم تكن تلك الفئة لتستطيع نجاحا مع رجل الخديوى إسماعيل لولا

تلك المحن الاقتصادية والسياسية وما أعقبها من تدهور مالى سريع. ثم احتلال الإنجليز مصر عام ١٨٨٢م وغير ذلك من أسباب التقلقل والاضطراب. ففترت حركة الإصلاح بعض الوقت. على أن توفيق باشا وعباس باشا الثانى الذين خلفا إسماعيل باشا، لم يضنا على الأزهر بالرعاية والعطف وعمل عباس باشا كل ما فى وسعه لتحقيق الإصلاح المنشود ولكنه تصادم بدوره مع جماعات المحافظين.

وكان أبطال النظام القديم يعتبرون الإصلاحات القليلة التى أدخلت على الأزهر مدنسة لحرمة هذا المكان المقدس. فهم يفسرون الإصلاح بأنه محاولة للإحالة بين الأزهر وبين ما كان له من شرف ومجد. ولما هدد رجال المهدى وادى النيل عام ١٨٨٤م، كان الأزهريون يعطفون عليهم كل العطف.

وكان الإمام محمد عبده فى مقدمة الرجال العصريين الذين لهم أثر كبير ملموس فى إصلاح الأدب والدين والسياسة والاجتماع، سواء أكان ذلك فى مصر أم فى العالم الإسلامى، وإذا كنا نشعر اليوم بحركة إصلاحية فى الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية ودور العلم حيث تتصل الحياة الدينية بالحياة المدنية، فالإمام واضع أساسها، متأثرا فى ذلك بآراء أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى الذى بث روح التجديد والإصلاح فى كل مكان وحرك عاطفة الوطنية فى صدور تلاميذه مستعينا فى ذلك بكثيرين من تلاميذه المبرزين على العمل والكتابة وإنشاء الفصول فى الصحف، وسهل لهم أمر الخطابة فى المحافل، كما كان يعقد لهم ببيته المناظرات الفلسفية والفقهية والدينية والأدبية، منتهزا فرصة تلك الاجتماعات لنشر تعاليمه التى كانت تحض على التوفيق بين الإسلام والمدنية والرجوع إلى المصادر الأولى للتشريع الإسلامى وشرحها شرحا معقولا خاليا من الخرفات والأساطير، ثم الميل إلى تحرير الفكر والعناية بالعلوم الفلسفية والأساليب الغربية، فتركت التعاليم روحا إصلاحية جديدة.

وكان محمد عبده طالبا بالأزهر صغير السن يوم أن عرف أستاذه جمال الدين الأفغانى، وسرعان ما لازمه كظله، بعد أن صادفت تعاليم الأفغانى فى نفس الأزهرى الصغير أرضا خصبة، فأخذ عنه كل مبادئه وأغراضه ثم أصبح وهو ما زال

طالبا يقرأ دروسا فى الأزهر على أسلوب أستاذه، موضوعها التوحيد والمنطق والحكمة والفلسفة. وكان يؤم تلك الدروس الجم الغفير من العلماء والمجاورين. فيرون كتبا جديدة وروحا جديدة وأسلوبا جديدا. فيه بلاغة وحرية فكر، وهنا ظهر الاصطدام بين مذهبين، مذهب الأزهر القديم الذى كان ينادى به الشيخ عليش. ومذهب محمد عبده وأستاذه، يجهر به هذا الطالب موفقا قادرا يبهر به الناس. كما ظهرت للشيخ الإمام المقالات الصحفية فى التصوف والتوحيد الممزوجين بالحكمة والفلسفة والمنطق، لفتت إليه الأنظار فعضده الكثير من الطبقة النابهة. وشجعوه على كتابة المقالات الدينية والأدبية والاجتماعية كلها تدعو إلى إدخال العلوم العصرية فى الأزهر. ولما بلغ الثامنة والعشرين تقدم لامتحان العالمية، فنالها عام ١٢٩٤هـ بعد تلكؤ العلماء وتبرمهم به لعلمهم بنزعته التجديدية وتأثره بآراء جمال الدين الأفغانى. وكلاهما ثائر فى وجه الجمود، داعية إلى حرية الفكر، وإن اختلف الإمام مع أستاذه فى طريقة الإصلاح.

فكان الأفغانى يرى أن خير وسيلة لهذا الإصلاح إنما هى الحكومة، تفرضه فرضا على الشعوب ليكون ألزم وأسرع، ولكن الإمام كان يرى التربية وإعداد الأمة للإصلاح خير وسيلة قويمة ثابتة، فهناك فرق كبير بين فرض الأمور فرضا على الأمة دون استعداد لها، وبين إعدادها وتثقيفها حتى تشعر بحاجتها إلى الإصلاح وتطلبه لنفسها فى شغف واشتياق، وأحرى بالأمم فى الحالة الأولى أن تثور وتهدم فى طرفه عين ما بنته الحكومة على غير أساس، كما يحدث دائما فى الشرق. لذلك نجد الإمام يحاول إصلاح الأزهر أولا، فإصلاحه إصلاح للأمة وضمان لمستقبلها، فتناول فيه الناحية الإدارية والصحية والخلقية.

وجد الإمام أن الأزهر قد أضحى معدوم النظام مضطرب الإدارة، فلم تكن هناك قواعد ثابتة لتوزيع المرتبات والجرايات ومنح كساوى التشريف ونيل بقية امتيازات العالمية. وكان اختلاف المذاهب فيه سببا فى عدم استقرارها. فما وافت أوائل محرم عام ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م حتى اشتد فى الأزهر نفسه حركة استياء عامة شملت الأساتذة والطلاب. فاضطر فريق من العلماء إلى رفع عريضة إلى الخديوى

يعرضون فيها حالة الأزهر وما وصل اليه من اضطراب وسؤ إدارة ويلتمسون وضع حد لهذه الفوضى التى كانت تضر إطنابها فيه فى ذلك الحين.فصدر القانون المعروف بقانون عام ١٨٩٥م ومن ذلك التاريخ دخل الأزهر فى طور جديد.

ولا يمكننا أن ننكر فضل الإمام محمد عبده فى إخراج هذا القانون إلى حيز الوجود. ففى حكم الخديوى توفيق بذل مجهودا كبيرا فى إقناع الشيخ محمد الإنبابى شيخ الجامع فى ذلك الحين بأن يوسع منهاج الدراسة بالجامع وأن يدخل بعض العلوم الحديثة على منهاج التعليم فيه. ولكن شيوخ الأزهر عارضوه معارضة شديدة فحاول أن ينال تأييدا من الخديوى ولكنه لم ينل منه عطفا كافيا.

فلما ولى الحكم عباس باشا الثانى، حاول أن ينجح معه حيث فشل مع سلفه، فرفع إليه تقريرا مسهبا عن الأزهر وطرق إصلاحه فصادف ذلك التقرير رضاءا عاليا من سمو الخديوى فأصدر القانون السالف الذكر فى ١٧ رجب عام ١٣١٢هـ - ١٥ يناير ١٨٩٥م فألف مجلس لإدارة الأزهر من أكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الأربعة، ومثل الحكومة فيه الشيخ محمد عبده نفسه وصديقه الشيخ عبد الكريم سليمان دون أن يكون لشيخ الجامع ولمجلس إدارته رأى فى انتخابهما.

وعلى الرغم من أن الإمام كان مؤيدا فى آرائه الإصلاحية من الخديوى وحكومته، فقد أراد ألا يعمل أى تغيير فى الأزهر إلا برضاء شيوخه.

استصدر الإمام قانون كساوى التشريف التى كان يلبسها العلماء فى مناسبات معينة تميزها عن غيرهم، فصارت تعطى لمستحقيها بمراعاة الأقدمية وغيرها من المؤهلات، وكان الرأى فيها من قبل، لشيخ الجامع يعطى من يشاء ويمنع من يشاء، والأصل فى هذه الكساوى أن أكابر العلماء وبعض مشايخ الحارات من أهل الحسب والنسب كانوا يزورون ساكن الجنان محمد على باشا الكبير فى قصره فى أول يوم من رمضان تبريكا بحلول شهر الصوم، فيخلع عليهم خلعا هى الكساوى المذكورة وبعد وفاته تنوسيت تلك العادة إلى زمن الخديوى إسماعيل فأحياها. ثم اهتم الإمام محمد عبده بتنظيمها، فصدر أمر الخديوى عباس الثانى، بربط بدلها نقودا باسم طائفة أهل العلم بالجامع الأزهر على الدوام.

وعنى الإمام كذلك عناية كبيرة بشئون الأزهر الإدارية، فابتنى مكاتب قريبة من الجامع يقوم بالخدمة بها عدد من الكتاب لمعاونة شيخ الجامع. بعد أن كان الشيخ فى الماضى يدير الأزهر من منزله حيث كان المدرسون والمجاورون يجتمعون إليه، تاركا أمور الأزهر العادية الهامة فى يد كاتبه الخاص يبت فيها كما يشاء فيستبد ويظلم.

وقد نالت مسألة مساكن المجاورين كثيرا من عناية الإمام فقد كانت الأروقة مزدحمة بساكنيها من الطلاب، لا تتوفر فيها الشروط الصحية، فجدد أثاثها وأوصل إليها المياه الصالحة للشرب والوضوء، وحول قناديل الزيت الضعيفة الضوء إلى مصابيح قوية تضاء بالبترول. كما عين طبيبا خاصا للأزهر ومجاوريه، وأنشأ لهم صيدلية مجانية داخل الأزهر، كما أنشأ لهم مستشفى خاصا بهم فيما بعد.

وابتدأ فى توجيه عنايته إلى المسألة ذات الأهمية القصوى لديه وهى مسألة التدريس فى الجامع. فألف لجنة من ثلاثين عالما من علماء الأزهر لتكتب تقريرا مسهبا إلى مجلس الإدارة عن العلوم التى تدرس فى الأزهر بالفعل وعن العلوم التى ترى أنه يجب إضافتها إليها ليكون التعليم فيه على أحسن صورة فعينت اللجنة علوم المقاصد وعلوم الوسائل وأضافت إلى علوم الوسائل الحساب والجبر وتاريخ الإسلام والإنشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادىء الهندسة وتقويم البلدان. وألزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية، وأن يمتحن فى علوم المقاصد وعلوم الوسائل والحساب والجبر. وحتم القانون أن يجنب الطلاب فى السنين الأربع الأول قراءة الحواشى والتقارير المطولة، وأن يفرغوا لتحصيل جواهر العلوم الدينية بطريقة سهلة التناول، ثم اشترط فيمن يقبل للامتحان أن يكون قد أمضى مدة اثنتى عشر سنة ضمن الطلبة على الأقل، وفى حالة ما إذا كان الطالب الممتحن حنبليا، نص على أن يكون فى هيئة ممتحنيه عضو حنبلى أو أكثر.

وكان متوسط عدد الذين يتقدمون للامتحان ثلاثة فى العام ولم يتجاوز عددهم الستة فى أى عام من الأعوام، فزاد بعد القانون إلى خمسة وتسعين نجح نحو ثلثهم.

ثم حدد القانون أوقات الإجازات الدراسية وقصر أجلها، فاصبحت شهور العمل ثمانية بعد أن كانت أربعة.

وخشي بعض العلماء أن تحول العلوم الحديثة بين كثرة الطلاب وتحصيل العلوم القديمة المتداولة، فعقد الشيخ الإمام اجتماعا ليظهر أن نسبة الناجحين من الطلاب الذين درسوا العلوم الحديثة والعلوم القديمة، أكبر منها فى أولئك الذين قصروا همتهم على دراسة العلوم القديمة وحدها.

ثم تبين له أن مكتبة الأزهر كانت فى أسوأ حال من الإهمال وسوء الانتفاع، بل كانت فى الواقع لا وجود لها، كانت كتبها موزعة مشتتة فى الأروقة المختلفة، وكان أكثرها فى حال يرثى لها، وتسرب كثير من كتبها إلى أيدى الغربيين، وبيعت نفائسها إلى باعة الكتب بالثمن البخس. فجيء بهذه الكتب من مخابئها محشوة فى الغرائز والمقاطف ثم رتبت ووضعت فى المكتبة، ونظم ما بقى منها فى الأروقة المهمة، وعنى بها عناية تامة، ثم أنشئت كذلك مكتبات فى المعاهد التى ألحقت بالجامع الأزهر، كالجامع الأحمدى والدسوقى ومعهد دمياط والإسكندرية وأصبحت تخضع لقانون الأزهر ونظامه، فنالت نصيبها من الإصلاحات التى أدخلت على المعهد الرئيسي.

وأمل الأستاذ الإمام فى أن يتخذ من الأزهر مركزا لحركة إصلاحية ونهضة عقلية فى البلاد كلها فعاد إلى التدريس فى الأزهر بعد أن تركه مدة طويلة وألقى به كثيرا من دروس التوحيد وتفسير القرآن والبلاغة والمنطق وينبغى أن نشير هنا إلى ما أبداه الشيخ الإمام محمد عبده من عظيم الاهتمام بإحياء اللغة العربية وأساليبها الفصحى.

وكانت الناحية الخلقية مشكلته، يعالجها بالتدريس والمناقشة وتعهد الطلبة وحملهم على الفضائل والسعى لهم ولجميع اللاجئين إليه فى أسباب السعادة والخير، وكثيرا ما كان قدوة صالحة بتضحية مرتباته وراحته لهم.

ومع أن الشيخ الإمام قد بذل جهدا كبيرا فى تحقيق هذه الإصلاحات فإن مقدار ما وفق إليه من نجاح لم يكن مناسبا مع عظمة أغراضه، فقد أدرك جزءا منها

وقد اضطر فى ١٩ مارس عام ١٩٠٥ إلى الاستقالة من الأزهر لتغير الخديو عليه ولشدة ما لاقاه من معارضة بعض الأزهريين. كما استقال معه صديقه الوفى الشيخ عبد الكريم سلمان وعضو آخر هو السيد أحمد الحنبلى.

غير أن قوة النزوع إلى التقدم والإصلاح كانت عظيمة حقا. وكان انتشار أوسع مما يدل عليه عدد الذين جاهروا بمناصرة الشيخ الإمام والانطواء تحت لوائه، فكان فى خارج الأزهر عدد من الذين يضمرون العطف عليه وعلى أغراضه أكبر جدا ممن هم فى داخله، ولكن الخوف من الجهر بالرأى داخل الأزهر، فكان له أثر كبير خارجه. فأفضى إلى إخفات صوت مناصريه وشل جهودهم. بينما كان المعارضون لا يفتر لهم نشاط.

ولم تجذب مبادىء الإمام الأزهريين كما اجتذبت طبقة المتأثرين بالحضارة الأوربية، وكان العدد الأكبر من مريديه وتلاميذه من أرباب المناصب العالية فى القضاء وأساتذة المدارس العليا أو رؤساء المصالح الحكومية. وكان بعض هؤلاء قد تعلم فى الأزهر، ولكن أكثرهم كانوا ممن تلقوا شيئا من علوم الغرب وبعضهم ممن جلس إلى جمال الدين الأفغانى.

وانتقل الأزهر بالقانون رقم ٦٠لسنة ١٩١١ إلى مرحلة أخرى من النظام. فقد أوضح القانون واجب الجامع الأزهر فى حيث القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة ويخرج علماء يوكل إليهم أمر التعليم الدينى ويلون الوظائف الشرعية فى مصالح الأمة، وقد زيد فى هذا القانون من اختصاصات شيخ الجامع الأزهر فهو زيادة عن كونه الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفى معاهده الملحقة به فهو المشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى من ينتمى لجميع المعاهد من أهل العلم وحملة القرآن الشريف من مصريين وغير مصريين. وهو المنفذ الفعلى العام لجميع القوانين واللوائح والقرارات المختصة بالجامع الأزهر والمعاهد.

وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ بالجامع الأزهر وكذا لكل معهد من المعاهد الأخرى وأجيز تعيين وكيل للجامع والكليات عند مسيس الحاجة.

وجعل لكل قسم من أقسام الأزهر شيخ ومراقبون وكتبة، أما إنشاء الوظائف فيكون من اختصاص مجلس الأزهر الأعلى.

وأنشىء للأزهر مجلس تحت إدارة شيخه ورئاسته، كما أنشئت مجالس إدارة مماثلة للمعاهد التابعة للأزهر. وقد أنشىء مجلس الأزهر الأعلى من شيخ الجامع بصفته رئيسا ومن أعضاء ثمانية هم شيخ السادة الحنفية وشيخ للسادة المالكية وشيخ للسادة الشافعية وشيخ للسادة الحنابلة ومدير عموم الأوقاف المصرية وثلاث ممن يكون لوجودهم بالمجلس فائدة لترقية التعليم وحسن انتظام إدارته بشرط أن يكونوا حائزين للصفات الملائمة لحالة الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، ويكون تعيينهم بإدارة سنية بناء على قرار مجلس النظار. وفى غياب شيخ الجامع ينوب عنه فى الرئاسة شيخ السادة الحنفية.

وقد عدلت تلك المادة فى القانون رقم ٦ لعام ١٩١٦ وزيد فيها (ولرئيس المجلس أن يدعو شيوخ المعاهد الأخرى لحضور الجلسات التى يحصل فيها نظر مسائل التعليم المتعلقة بمعهد كل منهم ويكون رأيهم استشاريا. فإذا اجتمعت مشيخة الأزهر ومشيخة أحد المذاهب الأربعة فى شخص رئيس المجلس الأعلى فيكون وكيله فى مشيخة مذهبه عضوا قانونيا فى المجلس لتمثيل أهل هذا المذهب).

وقد حدد قانون عام ١٩١٦ اختصاصات مجلس الأزهر الأعلى فجعل له حق وضع الميزانية العمومية للجامع الأزهر والمعاهد الدينية الأخرى وإنشاء المعاهد الدينية العلمية الإسلامية. وكثير من الاختصاصات التى ألغيت بقانون عام ١٩١٦. وحدد موعد انعقاد مجلس الأزهر الأعلى مرة كل شهر على الأقل بدعوة من الرئيس ولشيخ الجامع عقده أكثر من ذلك إذا دعا الحال. وكان المجلس ينعقد عند الضرورة تحت رئاسة سمو الخديوى عباس الثانى، وقد ألغى هذا النص بعد ذلك.

وقرارات مجلس الأزهر الأعلى تكون بأغلبية الآراء فإن تساوى الفريقان فالأرجحية للفريق الذى فيه الرئيس كما حدد القانون اختصاصات مجلس الإدارة فى كل معهد من المعاهد بتحضير ميزانية المعهد الخاصة وتعيين المدرسين والمراقبين وتقرير الكتب الدراسية وتوزيع العلوم على المدرسين وتوزيع ما يرد من النقود على

المعهد. ومجلس الإدارة ينعقد كل أسبوع بدعوة من الرئيس. أما مفتشو الجامع والمعاهد فقد كان تعيينهم من قبل الأزهر نفسه.

وقد طرأ على هذا القانون كثير من التعديلات فى عام ١٩٢٠،١٩٢٣،١٩٢٤. شملت مجلس إدارة الجامع الأزهر وشروط العضوية فيه والعلوم التى تدرس فى الجامع وتقسيم التعليم إلى أولى وثانوى وعال وقد أنشىء قسم التخصص فى قانون عام ١٩٢٣.

وصار الأزهر بعد الاحتلال الإنجليزى لمصر مقصورا على وظائف الفتاوى القضاء حتى الأخير كاد يسلب منه حين أنشئت مدرسة القضاء الشرعى.

ولا شك أن هذه الفترة فى تاريخ الأزهر الشريف إلى وقت صدور قانون ١٩١١ كانت فترة تسامح، إذ لم يكن الأزهر فى هذه الآونة قد استقر إلى قرار فإن كان الأزهر فى هذه الفترة قد أخرج فطاحل عظام أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول والشيخ القبانى والشيخ على يوسف ومصطفى الباجورى والشيخ النواوى وغيرهم إلا أن القوانين التى كانت قد صدرت لمصلحة الأزهر لم تصل به إلى حد الكمال.

وصدرت عدة قوانين عام ١٩٢٠، ١٩٢٣، ١٩٢٤ كما صدر فى ٢٤ جمادى الأخر عام ١٣٤٩ هـ (١٥ نوفمبر عام ١٩٣٠م) مرسوما بقانون رقم ٤٩ بإعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية والكليات وبدء العمل به فى عام ١٩٣١.

بدأ القانون بإصلاح مجلس الأزهر الأعلى الذى كان حجر عثرة فى سبيل كل إصلاح يدق باب الأزهر فأدخل على طريقة تكوينه وإصلاحه ألوانا من الإصلاح ملموسة. كما أنشىء بجانب الأزهر كثير من المعاهد فى عواصم الأقاليم وإن كانت لم تصل إلى مكانة الجامع الأزهر أو معهد طنطا. وقد لاحظ الملك فؤاد أن كثيرا من الطلاب يفضلون الالتحاق بهذين المعهدين. فحارب هذه النزعة ليخفف الضغط على الأزهر والمعهد الأحمدى، فأنشأ معهدى الزقازيق وأسيوط فى أبنية رائعة فاخرة تسع كل منها ما يزيد على ألف طالب. كما تكلف كل بناء منها ما يزيد على الأربعين ألفا من الجنيهات.

وكان من أهم مميزات الجامعة الأزهرية أنها انفردت بجمعها بين مراحل التعليم الثلاث، الابتدائى والثانوى والعالى، بينما كانت المعاهد الدينية قاصرة على المرحلتين الابتدائية والثانوية.

وكان قانون ١٩١١ يخول للمعاهد الأخرى حق تدريس مقرر للمرحلة العليا. ولكنه اشترط أن يعقد الامتحان لنيل شهادة العالمية فى القاهرة. غير أن سرعان ما اتضح أن هذا التغيير الجديد قد لقى صعوبة عنيفة لضعف مستوى طلاب المعاهد الفرعية ضعفا بينا، فطلب جلالته إلى مجلس الأزهر الأعلى أن يدرس الأمر ويبدى رأيه فيه، فاستقر الرأى على تركيز مرحلة الدراسة العليا فى الجامعة الأزهرية فى القاهرة، ثم صدرت بعد ذلك عدة قوانين ضم بمقتضاها إلى الأزهر من المدارس الخاصة كمدرسة القضاء الشرعى ومدارس المعلمين الأولية.

خطا الأزهر خطوات كبيرة ثابتة، فنراه يحاول تخفيف المركزية التى كان يمتاز بها الأزهر ويستبد لها باللامركزية التى أفادت الطلاب أكبر فائدة، فأكثر من إنشاء المعاهد فى الأقاليم وساعدته على ذلك وزارة الأوقاف التى ساهمت بكل ما أمكنها من مال وجهد فى بناء تلك المعاهد، كما أجاز أن تنشأ معاهد أخرى بمرسوم وأنشأ أقساما عامة الغرض منها سد حاجة من يريد التوسع فى معرفة أحكام الدين أو اللغة العربية ويتولى إدارة هذه الأقسام شيخ الجامع الأزهر طبقا للنظم التى يقرها مجلس الأزهر الأعلى، وأنشئت على أثر ذلك أقسام عامة بالقاهرة وطنطا والمنيا وسوهاج وقنا، كما أمر بتشكيل هيئة كبار العلماء من ثلاثين عالما برئاسة شيخ الجامع الأزهر واشترط لعضويتها أن يكون حائزا على الشهادة العالمية من مدة لا تقل عن خمس سنين وأن يكون مشهودا له بالورع والثقة وألا يقل سنه عن خمس وأربعين عاما، وأن يكون قد ألف كتابا قيما فى مادة مقررة بالكليات وأن يكون قد اشتغل بالتدريس فى الكليات أو بالقضاء من درجة شيخ معهد وأن تقبله هيئة كبار العلماء بالأغلبية المطلقة، وأجاز فصل العضو إذا حدث منه مالا يناسب وصفه عالما ومحو اسمه من سجل العلماء ويجوز إعادته بعد عشر سنين من قرار فصله، كما أجاز القانون المذكور لشيخ الجامع الأزهر حضور مجلس إدارة الكليات والمعاهد.

وقد جعل هذا القانون التعليم فى الأزهر أربع مراحل:

١- ابتدائى ومدته أربع سنين ويدرس فيه من المواد ما يلى :

الفقه، والأخلاق العربية، والتجويد، وحفظ القرآن الكريم، والتوحيد، والسيرة النبوية، والمطالعة والمحفوظات، والإنشاء، والنحو، والصرف، والإملاء. والخط، والتاريخ، والجغرافيا، والحساب، والهندسة العلمية، ومبادىء العلوم. وتدبير الصحة، والرسم.

٢- ثانوى ومدته خمس سنوات ويدرس فيه من المواد ما يلى :

الفقه والتفسير، والحديث، والتوحيد، والقرآن الكريم، والنحو، والصرف. والبلاغة (البيان والبديع والمعانى)، والعروض، والقافية، والمطالعة. والمحفوظات، والإنشاء، وأدب اللغة، والرياضة والحساب، والهندسة والجبر والعلوم (الطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعى) والمنطق، والتاريخ والجغرافيا والأخلاق والتربية الوطنية.

٣- عال ومدته أربع سنوات وينقسم إلى ثلاث كليات :

أ - كلية اللغة العربية ويدرس فيها من المواد ما يلى :

النحو والوضع والصرف والمنطق وعلوم البلاغة والآداب العربية وتاريخها وتاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ الأمم الإسلامية والتفسير والحديث والأصول والإنشاء وفقه اللغة.

ب - كلية الشريعة ويدرس فيها من المواد ما يلى :

التفسير والحديث متنا ورجالا ومصطلحا وأصول الفقه وتاريخ التشريع الإسلامى والفقه مع مقارنة المذاهب فى المسائل الكلية وحكمة التشريع وآداب اللغة العربية والبلاغة والمنطق.

ج - كلية أصول الدين ويدرس فيها من المواد ما يلى :

التوحيد مع إيراد الحجج ورفع الشبه خصوصا الذائع فى العصر منها والمنطق والمناظرة والفلسفة مع الرد على ما يكون منافيا للدين منها

والأخلاق والتفسير والحديث وآداب اللغة العربية وتاريخها وتاريخ الإسلام وعلم النفس وعلوم البلاغة.

٤- التخصص وهو على نوعين : تخصص فى المهنة وتخصص فى المادة والغرض من التخصص فى المهنة هو:

إعداد علماء يقومون بمهنة الوعظ والإرشاد أو الوظائف القضائية لمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة، أو التدريس فى المعاهد الدينية ومدارس الحكومة.

والغرض من التخصص فى المادة: إعداد علماء متفوقين فى العلوم الأساسية لكل كلية من الكليات الثلاثة ويعين حاملو الشهادات العليا فى وظائف التدريس بالكليات وبأقسام التخصص.

وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين تتوافر فيهم شروط القبول بالأقسام النظامية. وكذلك أفراد الجمهور للتوسع فى دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية.

الشهادات :

والشهادات التى تعطى للناجحين فى الامتحانات النهائية هى :

١- الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن اتموا دراسة القسم الابتدائى وتخول صاحبها الاندماج فى القسم الثانوى للقسم الأول.

٢- الشهادة الثانوية للقسم الأول :

يمنح لمن أتموا دراسة السنوات الأولى والثانية والثالثة فى القسم الثانوى وتخول صاحبها الاندماج فى القسم الثانوى للقسم الثانى.

٣- الشهادة الثانوية للقسم الثانى :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية القسم العالى. والحائزون لها يكونون أهلا للتوظف فى الوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم

الشرعية والمجالس الحسبية والأوقاف والتدريس فى المساجد ولوظائف الخطابة والإمامية والمأذونية.

٥- شهادة العالمية:

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص فى مهنة التدريس أو القضاء الشرعى أو الوعظ والإرشاد، والحائزون لها فى قسم التخصص فى مهنة التدريس يكونون أهلا للتدريس فى المعاهد الدينية وفى مدارس الحكومة. والحائزون لها من قسم التخصص فى القضاء يكونون أهلا للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والإفتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية. والحائزون لها من قسم التخصص فى الوعظ والإرشاد يكونون أهلا لوظائف الوعظ والإرشاد.

٦- شهادة العالمية مع لقب أستاذ:

تمنح لمن تخصص فى مادة من المواد، والحائزون لها يكونون أهلا للتدريس فى الأزهر وفى أقسام التخصص.

وقضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر فى اللوائح والقوانين التى تلزم لسير الدراسة والإدارة وغيرها فى الأزهر والمعاهد الدينية وتسمى تلك الهيئة (مجلس الأزهر الأعلى) وهو يؤلف من :

١. شيخ الجامع الأزهر.
٢. وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية وله رياسة المجلس عند غياب شيخ الجامع الأزهر.
٣. مفتى الديار المصرية.
٤. مشايخ الكليات الثلاثة.
٥. وكيل وزارة العدل.
٦. وكيل وزارة الأوقاف.
٧. وكيل وزارة المعارف.
٨. وكيل وزارة المالية.

٩. اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكى لمدة سنتين.

١٠. اثنين ممن يكون فى وجودهم بالمجلس مصلحة للتعليم بالازهر والمعاهد الدينية ويعينان برسوم لمدة سنتين.

أطلق اسم الجامع الأزهر فى القانون على كليات التعليم العالى وعلى أقسام التخصص.

ويطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد التعليم الدينى الإسلامى التى يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب فى دينهم وفى اللغة العربية وإعدادهم لدخول الجامع الأزهر.

والتعليم فى هذه المعاهد ابتدائى وثانوى.

وكانت المعاهد الدينية المنشأة آنذاك هى:

١. المعهد الأزهرى بالقاهرة: ابتدائى وثانوى.
٢. معهد الإسكندرية: ابتدائى وثانوى.
٣. معهد الزقازيق: ابتدائى وثانوى.
٤. معهد أسيوط: ابتدائى وثانوى.
٥. معهد دسوق: ابتدائى.
٦. معهد طنطا: ابتدائى وثانوى.
٧. معهد دمياط: ابتدائى.

وكان لصدور هذا القانون وانتشار أنبائه وقع حسن فى نفوس المسلمين فى عامة الأقطار فابتدأت البعثات تتوارد وتتابع من الصين وبولونيا وألبانيا والهند وغيرها للاغتراف فى هذا المنهل العذب، كما أخذت الجامعات الكبرى تتصل بالأزهر وكان آخرها عهدا جامعة غرناطة التى لبى الأزهر دعوتها إلى الاحتفال بمرور القرن الرابع على تأسيسها.

(٤)

تحول الأزهر بعد ذلك إلى جامعة إسلامية حديثة. وبدأت عنها طريقة الحلقات الدراسية العتيقة فى الانقراض واستعيض عنها بطريقة إلقاء الدروس فى

حجرات دراسية على النمط المتبع فى الجامعات العصرية، كما أدخل إلى الأزهر الكثير من اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية واللاتينية. ولم يقتصر التدريس فى الأزهر على علمائه، بل أزاح الأزهر عنه ثوب الجمود القديم الذى لازمه عصورا طويلة، وهجر الفكرة القديمة بأن لا يتصدر للتدريس فيه إلا من تخرج منه، فسمح فى السنين الأخيرة لكثير من خريجى الجامعة المصرية والمعاهد الأجنبية. باقتحامه والتدريس فيه، ودرسوا الطلبة اللغات الأجنبية والجغرافيا والتاريخ والطبيعة والكيمياء والهندسة والجبر والحساب، بل عين عدد كبير منهم فى المعاهد الأزهرية المختلفة. فأصبحت الجامعة الأزهرية تضاهى أعظم جامعات العالم لما تحتويه من لغات قديمة وحديثة.

وزيد عدد معاهد الأزهر، وأنشىء معهدا قنا وشبين الكوم وهكذا سنة بعد أخرى تنمو هذه الجامعات وتكبر فيزداد إقبال الطلاب عليها حتى أربى عددهم على أثنى عشر ألفا من جميع الأقطار والأجناس ففيها من بلاد طرابلس وتونس والجزائر، ومراكش والسودان والحبشة والصومال وبرتو وجنوب أفريقية والشام والعراق والحجاز وإيران وجاوة والهند والصين وروسيا والقوقاز والأناضول وكردستان وأفغانستان وتركيا وألبانيا ويوغوسلافيا وبولونيا وبلغاريا وأمريكا.

ولا ريب أنه انقلاب خطير ذلك الذى أصاب الأزهر فى العصر الأخير فحول حياته وأسبغ عليه طابعا جديدا. إذ لم يبق من الجامع الفاطمى القديم سوى صرحه الجليل الذى مازال قائما فى نفس المكان الذى اختاره له منشئه الأول القائد الكاتب أبو الحسن جوهر الصقلى وزير المعز لدين الله الفاطمى.

وهكذا صار الأزهر جامعة عصرية تجمع كليات حديثة منظمة على أحدث الطرق، وهو وإن لم يكن قد وصل بعد إلى طريق الاستقرار والوضوح، فقد نظمت الدراسة فيه وفى معاهده فى مراحل عدة وأنشئت معاهد جديدة وأجازت تخصص وأعدت للطلبة أبنية صحية جميلة للدرس والسكنى، بدل الأروقة، وقد وضع تصميم لمشروع إنشاء مدينة جامعية أزهرية فى حى الأزهر لإنشاء مساكن على نطاق واسع تسع جميع الطلبة كما عمل تصميم لإنشاء مكتبة عامة تجمع ما تكدس من كتب قيمة

ومؤلفات ومخطوطات ثمينة بدل تلك التى تضيق بما فيها من كتب وتفتقر إلى قاعة مطالعة فسيحة.

ويجب ألا ننسى ذكر ما أدخل على برامج التعليم من التغيرات والتعديلات والكثير من الموادالعصرية الصالحة كتاريخ التشريع والنظام الدستورى ومبادىء الاقتصاد ونظم التربية والأخلاق وعلم النفس واللغات الأجنبية والشرقية، كما أرسل عدد عظيم من خريجى الجامعة الأزهرية فى بعثات إلى باريس ولندن وبرلين، وقد عاد بعض هؤلاء الطلبة إلى الأزهر لينشروا فيه ما تلقوه فى تلك المعاهد من علوم حديثة وأفكار جريئة.

وقد تغلغلت الروح العصرية الحديثة تغلغلا شديدا فى الأزهر وتكونت فيه فرق متعددة للألعاب الرياضية واندمج الطلاب فى سلك التدريب العسكرى مرتدين الملابس العسكرية متطوعين فى سلك الجيش مع أنهم معفون من الجندية. واختير له الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان وزيرا للأوقاف فى ذلك الوقت. ولكن القانون لم يكن يسمح بتعيينه شيخا فقد اشترط فيمن يعين شيخا للجامع الأزهر كما أسلفنا أن يكون من هيئة كبار العلماء وأن تقبله تلك الهيئة بالأغلبية المطلقة وأن يكون قد اشتغل بالتدريس فى الكليات أو القضاء من درجة شيخ معهد، وأن يكون قد ألف كتابا قيما فى مادة مقررة بالكليات. ولم يكن الشيخ مصطفى عبد الرازق حائزا لكل تلك الشروط.فرأى جلالة الملك، بما له من رأى حصيف وخبرة واسعة أن لا يحرم الأزهر من رجل ذى شخصية فريدة عظيمة كالشيخ مصطفى عبد الرازق فاستد إليه جلالته رئاسة الجامع الأزهر مكتفيا بما عرف عن الشيخ عبد الرازق من سمعة طيبة وكونه حائزا للشهادة العالمية الأزهرية وأنه قام بالتدريس مدة ليست بالقصيرة بجامعة فؤادوله مؤلفات قيمة فى الفلسفة والأدب والتاريخ. وقد طلب الشيخ مصطفى عند تعيينه أن يعفى من حمل لقب الباشوية تواضعا وذلك لأنه يجر العرف فى أن يحمل شيخ الجامع الأزهر أى لقب من ألقاب التشريف سوى لقب شيخ.

وقامت الثورة المصرية، وفى ١٩٦١ وضعت الثورة قانونا جديدا بتطوير الأزهر فأنشأت فيه كليات جديدة للطب والصيدلة والهندسة والزراعة والعلوم وكلية

للبنات، وصار الأزهر جامعة كبرى تشمل كل علوم الدين والدنيا، وتغير وجه الأزهر القديم، وصار الأزهر الحديث هو الماثل بيننا الآن.

شيوخ الأزهر

كان شيوخ الأزهر يختارون من أئمة العلماء وأكثرهم علما وتقوى، على أننا نجد بين هؤلاء الشيوخ رجالا ذوى قيمة كبيرة وآخرين لا شأن لهم. فكان بعضهم من ذوى المواهب الإدارية. ولكنه لم يكن له فى العلم مقام كبير على حين أن البعض الآخر كان له مقام فى العلم دون الإدارة.

لم يكن للأزهر شيخ قبل العصر التركى، بل كان على رأسه ناظر ينتخب من بين كبار موظفى الأزهر فأنشىء هذا المنصب أثناء الحكم العثمانى لمصر، ليكون شاغله رئيسا لجميع شيوخ الأزهر وهمزة الوصل بينهم وبين الوالى الذى كان له الشأن الأوحد فى تعيين الشيخ وانتخابه بتعهده بإنفاذ كلمته وأبعاد العناصر الساعية إلى الفتنة والفوضى. وكان للشيخ مطلق الحق فى معاقبتهم بالطرد من الجامع أو النفى إلى بلادهم منعا للشر والاضطراب.

وكان لنفوذ الباشوات أثر كبير فى تعيين مشايخ الأزهر مما أدى إلى الكثير من القلاقل بين أتباع المذاهب المختلفة، والشيوخ كانوا يعينون متفاوتة والنالهم من المشيخة رهن مشيئة الحاكم التركى وقد حفظ المشيخة هو الجبرتى وأسماء شيوخ الأزهر من عام ١١٠٠هـ فأول من تولى المشيخة هو:

١. الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى المالكى الذى كان على جانب عظيم من العلم والصلاح والتواضع، له شرحان على مختصر خليل وكتاب فى البسملة، توفى فى ١٧ ذى الحجة عام ١١٠١هـ ثم.
٢. الشيخ إبراهيم بن محمد البرماوى الشافعى كبير علماء الشافعية فى زمنه المتوفى عام ١١٠٦هـ ثم.
٣. الشيخ محمد النشرتى الملكى، من بلدة نشرت بمديرية الغربية ولما توفى عام ١١٢٠هـ نشب خلاف شديد بين
٤. الشيخ أحمد التفراوى وبين

٥. الشيخ عبد الباقي القليني بسبب المشيخة والتدريس بالمدرسة الاقبغاوية، المجاورون قسمين، قسم يؤيد الشيخ النفراوي وقسم يؤيد الشيخ القليني الذي لم يكن بمصر وقت الفتنة، فلما أراد الشيخ النفراوي التدريس بالمدرسة، منعه القاطنون بها. ثم حضر الشيخ القليني إلى القاهرة، فذهب جماعة النفراوي إلى الأزهر ليلا حاملين البنادق وأطلقوها على جماعة القليني وأخرجوهم قوة من المدرسة وأجلسوا الشيخ النفراوي مكان القليني. فحدث معركة شديدة بين الجميع.

٦. الشيخ محمد شنن المالكي المتوفى عام ١١٣٣هـ، وكان واسع الثراء يقتني الكثير من المماليك والجواري وعند موته ترك لولده ثروة كبيرة قدرت بأربعين ألف بندقي ذهب خلاف الخزلي والطرلي وكثير من الفضة والأملاك والضياع، ولكن ا بنه كان متلافا فبددها كلها ومات مدينا. ثم تولى المشيخة.

٧. الشيخ إبراهيم بن موسى الفيومي المالكي المولود عام ١٠٦٣هـ والمتوفى ١١٣٧هـ.

وقد توالى على المشيخة بعده كثير من العلماء المالكية أشهرهم الشيخ شهاب الشبراملسي والشيخ الزرقاني والشيخ الشيشيني والشيخ الفرماوي ثم انتقلت المشيخة بعد ذلك إلى الشافعية فتولاها:

٨. الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي المولود عام ١٠٩٢هـ والمتوفى عام ١١٧١هـ وكان من بيت علم وفضل وشاعرا أديبا. وكان يسكن دارا عظيمة على بركة الازبكية بالقرب من الرويعي، وكان ذو ولع شديد باقتناء الكتب النفيسة والتحف. وقد ترك آثارا أدبية هامة منها:

كتاب مطامح الألطاف في مدائح الأشراف. وترك كذلك ديوانا كبيرا من الشعر وكان يجمع بين المشيخة والخطابة في جامع سراي الحاكم التركي ثم تولى المشيخة بعده عام ١١٧١هـ.

٩. الشيخ محمد بن سالم الحنفى الخلوتى الشافعى المولود عام ١١٠٠هـ والمتوفى ١١٨١هـ وكان عالما تقيا ترك مؤلفات عظيمة فى الحديث والعقائد والفرائض والجبر وتولى المشيخة عام ١١٧١هـ.
١٠. الشيخ عبد الرءوف بن عبد الرحمن السجينى وتوفى عام ١١٨٢هـ فتولاها.
١١. العلامة الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى المولود عام ١١٠١هـ وتوفى عام ١١٩٠ هـ فحدث نزاع على المشيخة استمر سبعة أشهر بين.
١٢. الشيخ عبد الرحمن بن عمر العريش الحنفى المتوفى عام ١١٩٣ هـ.
١٣. والشيخ أحمد العمروسى الشافعى المولود عام ١١٣٢هـ والمتوفى عام ١٢٠٨هـ وانتهى الأمر بتوليه المشيخة.

وذلك أنه لما زاد المرض على الشيخ الدمنهورى، طمع الشيخ العريشى فى اعتلاء المشيخة فتحايل على ذلك بأن ذهب إلى الأزهر ومعه شيخ البلد إبراهيم بك، فجمع العلماء والفقهاء وأخبرهم بأن الشيخ الدمنهورى وقد أشتد عليه المرض قد أقامه وكيلا عنه فى المشيخة لحين برئه، ثم مات الدمنهورى بعد عدة أيام فتولى الشيخ العريشى المشيخة بعد أن استمال إليه عدد كبير من الأمراء والكبراء.

ولكن لم يرض الشيخ العروسى. فنجم عن ذلك حزبين، حزب الأمراء والشيخ العريشى، يعاونهم طائفة الشوام والمغاربة وحزب الشيخ العروسى الذى تمكن من الوصول إلى إقناع إبراهيم بك شيخ البلد بأحقيته فى المشيخة فاضطر أنصار الشيخ العريشى إلى حراسة أبواب الأزهر لمنع أنصار الشيخ العروسى من الدخول.

وبعد سبعة أشهر، حدث أن قام نزاع شديد بين الأتراك والشوام من المجاورين، فانضم الشيخ العريشى لطائفة الشوام من بنى جنسه. فأغضب مسلكه الأمراء وتخلوا عنه فاضطر إلى الاختفاء عن الأنظار فعزل من الإفتاء، وحضر أغا قصر شيخ البلد والشيخ العروسى إلى

الأزهر وحاولا القبض على المجاورين الشوام ولكنهم كانوا قد أخلوا رواقهم وأغلقوه، ثم تم الصلح بين الأتراك والشوام فثبت الشيخ العروسى فى مشيخة الأزهر وأصدر شيخ البلد أمرا للعريشى بملازمة بيته فبقى فيه إلى أن مات عام ١١٩٣هـ حزنا وأسى.

١٤. الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى. المولود فى حدود عام ١١٥٠هـ والمتوفى عام ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) اشتهر بمصنفاته الكثيرة فى الدين والتصوف والتاريخ، فكان أعظم من تولى مشيخة الأزهر، وإن كان عهده أكثر اضطرابا من سلفه، بل أكثر العهود اضطربا، فقد دخلت الجيوش الفرنسية مصر واقتحمت القاهرة وأرسل نابليون إلى مشايخ الأزهر يطلب منهم الشخوص إليه فرفضوا ثم قامت ثورة القاهرة بتحريض العلماء فأطلق نابليون مدافعه على الأزهر والحسينية فقتل عدد كبير فركب المشايخ إلى نابليون فعاتبهم على مسلكهم نحوه فاعتذروا إليه كارهين طالبين منه الكف عن ضرب المدينة فأوقف إطلاق النار، بعد أن هاجم الفرنسيون حى الحسينية وأزالوا ما أقامه المصريون فى الحوارى والأزقة من متاريس ومدافع، ثم دخلوا الجامع الأزهر بخيولهم وتفرقوا فى صحنه ومقصورته وربطوا خيلهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل وهشموا خزائن الطلبة ونهبوا أمتعتهم وأتلفوا الكتب والمصاحف وطرحوها على الأرض وداسوا عليها بنعالهم وأخرجوا من الأزهر من فى المجاورين، إلى أن استعطف المشايخ نابليون فأمر بإخلاء الأزهر من الجنود الفرنسية بعد أن أمر بالقبض على كثير من المشايخ زعماء الحركة وحبسهم فى بيت كبير ثم ساقهم عرايا إلى القلعة ثم ضربهم ضربا مبرحا وقتلهم رميا بالرصاص وألقاهم خلف القلعة.

ثم حدث أن قتل سليمان الحلبى القائد كليبر بينما كان يتنزه فى قصره بالأزبكية وقبض عليه. وعلم المحققون أن الحلبى يقطن رواق

الشوام بالأزهر. فقبضوا على عدد كبير من طلبته وحكم عليهم ظلما بقطع رقابهم، أما القاتل فقد اجلس على خازوق حتى مات. كما أصدر القائد مينو أمرا بتفتيش الأزهر وحرمان الأتراك من دخوله، فاستمروا لا يدخلونه إلى أن جلى الفرنسيون عن مصر.

ولما توفى الشيخ الشرقاوى دب الشقاق بين المجاورين، فقد كان بعضهم يريد ارتقاء المشيخة إلى أن تولى:

١٥. الشيخ المهدى، وفى أيامه ظهر فى الأزهر بعض اللصوص الذين كانوا يختبئون خلف عمد الصحن ليلا حتى إذا انفرد أحد الأشخاص هاجموه ونهبوه، فقبض عليهم الشيخ المهدى وأخرجهم من الجامع، كما حدث فى أيامه أن سكن حارات الأزهر كثير من القوادين والنساء سيئوا السيرة فأمر بإخراجهم منه محافظة على كرامة الأزهر وقدسيته. كما أبطل اختصاص أهل كل مذهب بعمد مخصوصة وأبقى اختصاص كل شيخ بعمود، وإذا خلا عمود بموت شيخه أو انقطاعه، فلغيره أن يأخذه ولو لم يكن أهل مذهبه، وقد يشترك فى العمود شيخان يتبادلان الوقت، وقد يكون للشيخ عمودان يقرأ فى أحدهما صباحا والأخر مساء. وكان الشيخ ينوى إدخال الكثير من الإصلاحات لولا المعارضة الشديدة التى قابله بها مشايخ الأزهر فلازم بيته واستمر شيخا للأزهر بالاسم فقط مدة طويلة، ثم اضطر إلى اعتزال المشيخة فعقبه.

١٦. الشيخ الشنوانى المتوفى عام ١٢٣٣هـ. ثم.

١٧. الشيخ احمد العروسى المتوفى عام ١٢٤٥هـ، ثم.

١٨. الشيخ احمد بن على الدمهوجى الشافعى المتوفى عام ١٢٤٦ هـ وكانت داره برقعة القمح خلف رواق الصعايدة ومدة رئاسته للجامع أشهر، ثم تولى بعده.

١٩. الشيخ حسن بن محمد العطار المتوفى عام ١٢٥٠هـ وكان رجلا شاعرا ثائرا مستنيرا اشتهر بغزارة علمه، اتصل بعد خروج الفرنسيين من مصر

بعضهم فتعلم لغتهم وأتقنها مقابل إعطائهم دروسا فى اللغة العربية وقضى معظم حياته متنقلا فى البلاد الأجنبية، فقد ارتحل إلى الشام وأقام بدمشق مدة طويلة وزار القدس الشريف وعاش فى بلاد الروم عدة سنوات وسكن بلدا شكوردة من بلاد الانوءود وتزوج بها ثم عاد إلى مصر. ولما مات تولى المشيخة:

٢٠. الشيخ حسن القويسنى، وكان كفيف البصر شريف النفس ذا هيبة عند الأمراء والعظماء فلما مات عام ١٢٥٤هـ تولى المشيخة.

٢١. الشيخ أحمد بن عبد الجواد الصائم الصفتى المتوفى عام ١٢٦٣هـ، ثم.

٢٢. الشيخ إبراهيم بن محمد الباجورى أو (البيجورى) المولود عام ١١٩٨هـ والمتوفى ١٢٧٧هـ ، وكان عالما عظيما وفقيها فاضلا، وقد حظى الأزهر فى أيامه بزيارات متكررة من عباس باشا الأول والى مصر الذى كان يحضر خصيصا للاستماع إلى ما يلقيه الشيخ الباجورى من دروس فكان يجلس على كرسى صغير من الجريد ينصت إليه، وعند خروجه كان ينثر الأزهر شيئا من النقود الفضية.

ولما كبر الشيخ الباجورى أعجزه كبر سنه عن متابعة القيام بواجبات المشيخة، فأصبح الجامع ولا رئيس له ولا مدير، فتسبب عن ذلك الكثير من الفتن بين المجاورين، أهمها ما حدث بين المجاورين الشوام والصعايدة على مكان الدرس فاتخذ الأزهر عام ١٢٨١هـ.

٢٣. مجلسا مكونا من أربع وكلاء انتخبهم العلماء، وهم الشيخ أحمد كبوة العدوى المالكى، والشيخ إسماعيل الحلبىُ الحنفى، والشيخ خليفة الفشنى الشافعى، والشيخ مصطفى الصاوى الشافعى، واستمروا فى المشيخة أربع سنوات، ثم تولاها.

٢٤. الشيخ مصطفى العروسى المولود عام ١٢١٣هـ، وكان تقيا مصلحا فأبطل كثير من البدع التى كانت بالجامع، ومنع الاستجداء بقراءة القرآن حول الجامع وفى الطرقات، ومنع غير المستحقين للتصدر للعلم من

التدريس، وله مؤلفات نفيسة في التصوف منها: كشف الغمة، والعقود الفرائد في بيان معاني العقائد، والهدلية بالولاية، وعزم على فانتقلت مشيخة الأزهر إلى الحنفية، فتولاها.

٢٥.الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي مع الإفتاء وكان بدوره ملحا. حائزا لثقة الحديوي إسماعيل وتأييده في جميع ما أدخله على الأزهر من إصلاحات، وقد اضطر خلال الفتنة العرابية عام (١٢٩٩هـ - م)أن يتراجع وقتا ما أمام الشيخ محمد الإنبابي خصمه العنيد، فعزل من المشيخة بناءا على طلب العرابين. ثم عاد إليها بعد انتهاء الثورة وظل فيها إلى ٣ ربيع الثاني عام ١٣٠٤هـ حيث استقال من الأزهر والإفتاء. وفي أيامه قلت بالأزهر الشرور والمفاسد وكثرت المرتبات والكساوي والجوابات التي أعاد ما أهمل منها، وأدخل نظام الامتحان في الجامع خصوصا لمن يريد التصدير للتدريس ونفذ شروط جميع الواقفين على الأزهر، ثم عقبه:

٢٦.الشيخ محمد الإنبابي، وكان عالما كبيرا ولكنه كان في الوقت نفسه خصما عنيدا لكل إصلاح وتجديد، وقد كلفته الحكومة بكتابة تاريخ الأزهر وفقا للمستندات الموجودة به ولكنه لم يفعل فلما ترك منصبه عام ١٣١٣هـ خلفه.

٢٧.الشيخ حسونه النواوي الحنفي (١٨٤٠م - ١٨٩٨م)، وكان من أقرب مريدي الشيخ الإمام محمد عبده وعونا له على تنفيذ إصلاحاته وفي زمنه أنشئت المكتبة الأزهرية وبني الرواق العباسي، وأكثر من امتحان طالبي التدريس واستصدر قرارا بأبطال امتحان الحقانية وطلب زيادة مرتبات العلماء ومشايخ الأروقة والحارات، ثم ترك الشيخ النواوي مشيخة الأزهر، فخلفه.

٢٨.الشيخ عبد الرحمن النواوي الحنفي عام ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م ولكنه توفي فجأة بعد شهر واحد من توليه المشيخة، فخلفه في السنة نفسها:

٢٩.الشيخ سليم البشرى فى الخميس ٢٨ من صفر عام ١٣١٧هـ. وكان شيخا للمالكية منذ عام (١٣٠٥هـ – ١٨٨٨م) وسار فى المشيخة بالحزم ولم تمنعه من القيام بدروسه، ولكنه استقال فى ذى الحجة عام ١٣٣٠هـ، فخلفه:

٣٠.السيد على بن محمد الببلاوى الذى استقال فى المحرم من عام ١٣٢٢هـ وتوفى فى ذى القعدة من نفس العام، فخلفه.

٣١.الشيخ عبد الرحمن الشربينى ولكنه استقال عام ١٣٢٧هـ، ثم عاد إلى المشيخة مرة أخرى.

٣٢.الشيخ حسونة بن عبد الله النواوى ولكنه استقال فى نفس العام فخلفه للمرة الثانية أيضا.

٣٣.الشيخ سليم البشرى إلى أن توفى فى ظهر يوم الجمعة ٤ ذى القعدة عام ١٣٣٥هـ – ١٩١٧/١٠/١٧.

٣٤.الشيخ أبو الفضل الجيزاوى تولى المشيخة فى ١٤ ذى الحجة من نفس العام وكان شيخا للمالكية من ٢٠ صفر عام ١٣٣٦هـ واستمر شيخا للأزهر حتى عام ١٣٤٨هـ،

٣٥.الشيخ محمد مصطفى المراغى الحنفى تولى المشيخة من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٣٠م فاهتم بإعادة تنظيم الأزهر على نطاق واسع وعلى شكل أحدث رغبة فى جعله أقرب إلى نظام الجامعات الأوربية حتى يتفق وحاجات العصر الحاضر فى مصر. فرفع إلى الملك فؤاد مشروعا بإصلاح هذا المعهد، فصدر القانون المعروف رقم ٤٩ لعام ١٩٣٠ الذى تضمن الكثير من الإصلاحات والتغيرات اشتملت جميع نواحى الأزهر من أساتذة ومجاورين وعلوم وجراية، وقد رغب الشيخ المراغى فى إصدار المزيد من القوانين الخاصة بتحسين حال الأزهر ورفع مستواه وتخليد ذكرى علمائه وعظمائه الأفاضل ولكنه استقال عام ١٣٤٨هـ. فعقبه.

٣٦.الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى. وكان عالما فاضلا كبيرا، اشتهر بكتابه (العلم والعلماء ونظام التعليم) الذى أصدره عام ١٩٠٤م، وقد تكلم فيه عن العلماء والمدارس الدينية والعلوم وطريقة التعليم. وأهم ما فى الكتاب التوفيق بين أصول الإسلام الصحيحة وبين كل ما هو حسن بغض النظر عن مصدره وبيئته، فالإسلام يجب أن لا يؤخذ فقط عن أوربا، بل يؤخذ كذلك عن الصين واليابان، وأنه يجب أن تكون الدعوة إلى الإسلام ورسالته من أهم المواد التى يجب أن تدرس بالأزهر. وهو يدعو فى كتابه إلى عقد مؤتمر إسلامى كل عام ويرمى كذلك إلى تخليص الأزهر من البدع والخرافات، كما كان يحذر الجمهور من الفلسفة النظرية، والكتاب شاهد صادق على صفاء عقيدة الشيخ الظواهرى وطموحه نحو المثل الأعلى، فلما استقال من المشيخة عام ١٣٥٤هـ، عاد إليها.

٣٧.الشيخ محمد مصطفى المراغى، ويرجع إليه الفضل فى وضع مشروع المدينة الأزهرية التى تجمع المعاهد المختلفة ومساكن الطلبة والمكتبة الأزهرية على أحدث نظام وأبدع تنسيق، وقد أوقف تكملة تلك المدينة بما فيها المكتبة للظروف الحربية وغلاء أسعار البناء.

وكان الشيخ المراغى إماما من أئمة المسلمين على قدرة وسمو مكانته. فهو أحد تلاميذ الشيخ الإمام محمد عبده، بل كان أنجب تلاميذه لذلك اختاره الإمام ليكون قاضيا فى السودان وما يزال يرتقى بها حتى أصبح بعد مضى بضع سنوات قاضى قضاتها فنهض بالأزهر نهضة عظيمة مقتفيا خطوات أستاذه الإمام.

وكان الشيخ المراغى عالما فاضلا محبا للأدب حافظا للشعر، رأى أن أستاذه الإمام قد فسر جزء عم فأراد أن يتم تفسير ما بقى من القرآن الكريم، ففسر جزء تبارك وأتمه قبل موته بقليل واستعان فى تفسيره بالعلوم الحديثة فكان بحثا قيما يدل على ما كان عليه الشيخ من

التعمق في العلوم والدين. وهو أول من ابتكر فكرة الدروس الدينية التى كان يلقيها تباعا فى رمضان وفى غيره من المناسبات بين يدى الملك فاروق وكان يحضرها جمع غفير من علية المصريين وعظمائها فلما توفى فى ١٤ رمضان ١٣٦٤هـ الأربعاء ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٥، تخلفه.

٣٨. الشيخ مصطفى عبد الرازق، وكان أستاذا للفلسفة بجامعة فؤاد الأول، ثم وزيرا للأوقاف أكثر من مرة، وهو عالم فاضل كثير التواضع يأمل الكثيرون أن ينال الأزهر على يديه الشيء الكثير من الإصلاح والرقي. وقد توفى بعد عامين.

٣٩. وتولى مشيخة الأزهر بعده الشيخ مأمون الشناوى.

٤٠. ثم الشيخ إبراهيم محروش.

٤١. فالشيخ عبد المجيد سليم.

٤٢. فالشيخ محمد الخضر حسين.

٤٣. فالشيخ عبد الرحمن تاج.

٤٤. فالشيخ محمود شلتوت.

٤٥. فالشيخ محمد الفحام (١٨٩٤/٩/١٨ – ١٩٨٠/٨/٣١) وقد تولى المشيخة فى ١٩٦٩/٩/١٦.

٤٦. فالشيخ عبد الحليم محمود المتوفى فى ١٩٧٨/١٠/١٧.

٤٧. فالشيخ محمد عبد الرحمن بيصار.

٤٨. فالشيخ جاد الحق على جاد الحق.

٤٩. فالشيخ الدكتور محمد الطنطاوى من عام ١٩٩٦ حتى الآن.

المكتبة الأزهرية

وللأزهر مكتبة حافلة بالمخطوطات وقد أهديت لها مكتبات خاصة حملت الغيرة الدينية أصحابها أو ورثتهم على إهدائها للأزهر ليكـون نفعها وقفا علـى العلمـاء وطلبة العلم. وأهمها:

١. مكتبة سليمان باشا أباظة، وقد أهداها ورثته للأزهر عام ١٨٩٨م عملا بمشورة الإمام محمد عبده وهي أنفس المكتبات الخاصة بالأزهر. يستأثر منها التاريخ والأدب بغالب كتبها، وتمتاز بكثرة المخطوطات وبخاصة في الفنيين المذكورين وعد مجلداتها ١٤٨٤ مجلدا، جملة صالحة من مطبوعات أوربا.
٢. مكتبة حليم باشا، وقد وزعت بين الأزهر ووزارة المعارف في أغسطس سنة ١٩١٢ وخص المكتبة الأزهرية منها ٣٨٥٧ مجلدا، ويظهر من فنونها القرءات والحديث والتصوف والطب والفلك والتاريخ وبها كتب في بعض الفنون باللغة التركية والفارسية وكثير من كتبها بخوط جيدة موشاة بالذهب.
٣. مكتبة الشيخ عبد القادر الرافعي المتوفى عام ١٣٢٣هـ، وقد وقفت بخزائنها الخاصة بها على الأزهر في مارس عام ١٩٢٧م، ووضعت في حجرة خاصة بها وعدد مجلداتها ١٤٥٧ مجلدا وهي أغنى المكتبات الخاصة بفن الفقه الحنفي وبها مخطوطات في هذا الفن من النوادر كشرح السندي على الدر المختار.
٤. مكتبة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية المتوفى عام ١٩٣٥م، وقفها في حياته بخزائنها الجميلة، ونفذ ورثته رغبته عام ١٩٣٨م، وعدد مجلداتها ٣٣٦٥ مجلدا في فنون مختلفة يغلب فيها الفقه الحنفي.
٥. مكتبة الشيخ الإمبابي شيخ الجامع الازهر المتوفى عام ١٣١٣هـ، جعل مقرها منزله بالظاهر وجعل لها مغيرا بمرتب أوقفه عليه، وخشيت وزارة

الأوقاف عليها من التلف فأهدتها إلى الأزهر عام ١٩٢٨م وعدد مجلدتها ١٤٥٢ مجلدا، وبها مخطوطات نادرة في الفقه الشافعي.

٦. مكتبة بسيم أغا، كانت برواق الجبرت، ونقلت بخزانتها إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٥م (وبها نحو ألف مجلد في مختلف الفنون).

٧. مكتبة الشيخ العروسي شيخ الجامع الأزهر المتوفى عام ١٢٩٣هـ. أهداها ورثته إلى الأزهرعام ١٩٣٨م وعدد مجلداتها ٨١٨ مجلدا. ومعظم كتبها بخطوط قديمة وبعضها حديثة وبها نوادر في النحو والتاريخ.

٨. مكتبة الشيخ إبراهيم السقا وأخيه الشيخ عبد العظيم السقا، أهديت إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٧م وعدد مجلدتها ٥٩٠ مجلدا وبها نوادر من الكتب الخطية.

٩. مكتبة إبراهيم بك حفظتي، أهديت إلى المكتبة الأزهرية عام ١٩٢٢م وعدد مجلداتها الآن ٣٩٢ مجلدا، وهي في نمو مستمر، فقد وقف عليها مهديها مبلغا من المال سنويا نصفه لشراء الكتب والآخر للمغيرين بها.

١٠. مكتبة الشيخ حسونة النواوي شيخ الجامع الأزهر والمتوفى عام ١٩٢٥م وهي في فنون مختلفة، أهداها إلى المكتبة الأزهرية عقب إنشائها لتكون نواة لها ولحمل غيره على تعقيدها.

١١. مكتبة الشيخ الجوهري، أهديت إلى الأزهر عام ١٩٢٨م وعدد مجلداتها ٣٤١ مجلدا.

١٢. مكتبة الشيخ عبد اللطيف الفحام المتوفى عام ١٩٤٣م أهداها عقب وفاته إلى الأزهر ومجلداتها ألف مجلد.

١٣. مكتبات أخرى كمكتبة رضوان باشا ومختار باشا وثابت باشا ورشيد باشا وبعض مكتبة مدرسة القضاء الشرعي ومكتبة زكي باشا، ومكتبة الصعايدة.

أما مكتبة الإمام الشيخ محمد عبده، فقد خص بها الجمعية الخيرية الإسلامية دون الأزهر. ولكن الأزهر طالب بها وألح فى طلبها حتى وافقت الجمعية أخيرا على منحها للأزهر الذى هيأ لها مكانا لائقا بها فى مكتبته الخاصة. وقد أنشئت المكتبة الازهرية بناء على مساعى الأستاذ الإمام محمد عبده وذلك بمرسوم صدر فى شهر مايو عام ١٨٩٧م على أن يجمع فيها كل ما فى الأروقة من الكتب والمخطوطات. وصار مكان المكتبة المدرستين الاقبغاوية والطيبرسية. وهى المكتبة الأساسية فى الأزهر الشريف بالنسبة لمكتبات الكليات والمعاهد الأزهرية.

(٩)

أروقة الأزهر

كان المجاورون فى القرون الوسطى يقيم بعضهم فى المسجد والبعض الأخر خارجه. فالذين كانوا يقيمون داخل المسجد ينقسمون إلى طوائف لكل طائفة حارة خاصة ورواق خاص، فالحارة المكان الذى كان المجاورون يضعون فيه متاعهم وملابسهم وأدواتهم الخاصة. وكانت تعرف بهم كحارة السلمانية والدكة والممشى والعفيفى والذرقانية وغيرها، ولكل حارة شيخ يرجع إليه طلبتها فى جميع أمورهم.

أما الرواق فهو المكان الذى كان مقرا لسكنى الطلبة، وهى غرف متصلة بأسوار الأزهر على طول هذه الأسوار، وكانت تفرش بما يلزم لها من الفراش ويعد بجانبها محلات للغسيل وأخرى للضوء وغيرها لإعداد الطعام وكانت تقام فيه الأذكار ويحتدم الجدل والنقاش، وأول من جعل لطلاب الأزهر رواقا يسكنون فيه، هو الخليفة العزيز بالله ابن المعز لدين الله الفاطمى. ثم أخذ الملوك والأمراء وأصحاب اليسار فى تشييد الأماكن لسكنى الطلاب من مصريين وغرباء.

وكانت لكل طائفة جهة يقيمون بها وتصرف عليهم الجرايات والمرتبات، ولكل طائفة نقيب وشيخ يحكمهم ويدافع عنهم ويخاطب فى مسألتهم أولى الأمر وشيخ العموم. كما أن لكل طائفة منهم أوقافا وعقارات يصرف عليهم من ريعها، هذا غير الأوقاف

العامة التى كانت موقوفة على الأزهر كله. ويتبع التقسيم إلى أروقة غالبا التقسيم الجنسى أو التقسيم المذهبى، وفى أحوال قليلة يتبع المنشآت الخاصة. ومن أشهر أروقة :

١. رواق الصعايدة: كان هذا الرواق أشهر أروقة الازهر وأغناها وأكثرها أهلا وأوقافا، فكان به ما يزيد على ألف عالم ومجاور وقد جرت العادة بأن يأتى مجاورو هذا الرواق من المنطقة التى تقع بحرى مدينة منية ابن خصيب المنيا الحالية إلى أسوان، ومع ذلك فلم يكن يقطن الرواق إلا عدد قليل من مجاوريه، إذ كان معظمهم يسكن البيوت والوكالات بالقاهرة.

وهذا الرواق على يمين الداخل فى باب الصعاية. وكان به خزانة كبيرة تحتوى على عدد عظيم من الكتب الهامة، وكان له مخزن لملابس الطلاب ومطبخ، وقد أنشىء تحت هذا الرواق ضريح كبير أوقف على جميع منافع الأزهر.

أنشأ هذا الرواق الأمير عبد الرحمن كتخدا لصداقته الشديدة للشيخ على العدوى شيخ الرواق فى ذلك الحين، وأوقف عليه بعض الأوقاف والرياع، وحذا حذوه كثير من أهل البر والخير فرتبوا له الجرايات اليومية والمرتبات السنوية على رأسهم السيد عمر مكرم نقيب الأشراف والحاج محمد باشا سلطان من منية ابن خصيب، فقد أوقف عليه مائة وخمسين فدانا من أجود أطيانه بالمنيا. ويوجد بجانب الرواق مدفن منشئة الأمير عبد الرحمن كتُخدا، وهو جميل الصنع تعلوه قبة مرتفعة وعليه تركيبة رخام منقوشة بها أسماء العشرة المبشرين بالجنة: أبو بكر الصديق بن قحافة، عمر بن الخطاب العدوى، عثمان بن عفان الأموى، على بن أبى طالب الهاشمى. طلحة بين الزبير التيمى، سعد بن أبى وقاص الزهرى، سعيد بن زيد العدوى، عبد

الرحمن بن عوف الزهرى، عبده بن عامر بن الجراح القهرى، الزبير بن العوام الأسدى رضى الله عنهم، وتليها أيضا أسماء أهل الكهف.

وكان أكابر رجال الأزهر يتخذون هذا الدفن مجلسا يجتمعون فيه للمفاوضة والتشاور فى المهمات.

٢. رواق الحرمين: وهو داخل باب مقصورة الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو رواق صغير كان يسكنه مجاورو أهل الحجاز ومكة والمدينة والطائف. ولكن أهله كانوا قليلين لاكتفائهم بالمجاورة بالحرمين الشريفين.

٣. رواق الدكارثة الغورية: وهو فى طرف المقصورة الجديدة عن شمال الداخل من باب الصعايدة ولم يكن يسكنه كذلك إلا القليل من المجاورين.

٤. رواق الشوام: عن يمين الداخل من باب الشوام فى المقصورة القديمة. ويقال إنه من إنشاء السلطان قايتباى، ثم زاد فيه الأمير عثمان كتخدا فصار أكبر من رواق الصعايدة، بأعلاه كثير من المساكن الخاصة بالمجاورين، وقد أوقف عليه الأميران أوقافا كثيرة مازالت تجرى على الرواق إلى يومنا هذا، وكان الرواق مسكنا للمجاورين القادمين من بلاد الشام، وكانت به خزانة كبيرة لحفظ الكتب، وقد أنشىء به بئر خاص للسقاية والوضوء ولكنه استبدل بعد ذلك بصنبور ماء.

٥. رواق الأتراك، على يمين الداخل من باب المزينين وله باب يطل على صحن الأزهر، والرواق من إنشاء السلطان قايتباى، ثم رممه وزاد عليه الأمير عثمان كتخدا الفازوغلى وبنى به رحبة مسقوفة، ويحتوى الرواق على ستة عشر عمودا من الرخام واثنى عشر مسكنا علويا. وكانت به خزانة كتب عظيمة، عامرة بالثمين من الكتب والمؤلفات والمخطوطات ومطبخ عامر وبئر. ثم مدت إليه أنابيب المياه فيما بعد. ويستحق إيراد اوقافه كل مجاور تركى حتى العتقاء منهم، وكان الرواق

نظيفا معتنى به وأهم ما يقص عن هذا الرواق، أنه فى عام ١٢٩٣هـ. اعتدى أحد الطلبة على الشيخ راشد شيخ الرواق فى ذلك الحين بسكين تسبب عنها بتر أصابعه، وذلك لأن الشيخ أمر بقطع الجراية عن الطالب المذكور لسؤ سلوكه. وكان الشيخ راشد من مماليك ساكن الجنان محمد على باشا. فقبض على الطالب وكان قد فر هاربا وحكم عليه بالسجن بليمان الإسكندرية بضع سنوات ثم نفى بعد ذلك.

٦. رواق الحنفية: ويقع بجوار رواق الفيومية بين الميضأة الكبرى ومكان ساقية المدرسة الاقبغاوية وبابه يوصل إلى صحن الجامع بسرداب طويل كان جزءا من رواق الفشنية ثم اقتطع منها بتعويض، انشأ هذا الرواق والى مصر عباس باشا الأول، إذ اشترى ما كان فى مكان الرواق من منازل ثم أزالها وأقام مكانها رواقا لأهل بلد الشيخ البيجورى، شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت. ومات عباس باشا قبل أن يتم الرواق، فقام بإتمامه أبو بكر راتب باشا الكبير من ماله الخاص،وجعله رواقا للمجاورين الحنفية المصريين، وبنى به ثلاثة عشر مسكنا لمجاوريه المتقدمين المكتوبين بدفتره. وأنشأ له خزانة كتب كبيرة ووهبها كثيرا من الكتب والمؤلفات كما أوقف عليه أوقافا غنية وجعل النظر عليها لمفتى الحنفية بمصر.

وفى عام ١٣١٧ تولى النظارة الشيخ محمد عبده فزاد فى مرتبات أهله، وكان للرواق باب ينفذ إلى الميضأة فأغلق بعد أن استغنى عن الميضأة بصنبور ماء. وقد أنشأ راتب باشا للرُوَاق مجرى لجلب المياه من مصانع الجامع إلى ميضأته.

٧. رواق الشرقاوية: يقع فى النهاية البحرية من المقصورة القديمة، أنشأه إبراهيم بك أحد البكوات المماليك.

والسبب فى بنائه أن الشيخ الشرقاوى شيخ الرواق فيما بعد، كان يسكن ومعه مجاورى المدرسة الطيبرسية، وكان لهم مخزن برواق

معمر فنشب خلاف بين مجاورى الشرقاوية ومجاورى رواق معمر شديد. انتهى بأن ضرب مجاورو الشرقاوية شيخ رواق معمر ضربا مبرحا. فمنعهم من الإقامة بالمدرسة الطيبرسية. فاتصل الشيخ الشرقاوى بامرأة فقيهة عمياء كانت ترتل القرآن فى قصر عديلة هانم ابنه إبراهيم بك، وقامت المقرئة بدور الوسيط لدى الوالى وابنته واقنعتهما بضرورة بناء رواق خاص بأهل الشرقية بالأزهر. فوافق إبراهيم بك واغتصب بعض الأراضى الفضاء التى كانت أمام الجامع وأقام عليها الرواق الذى نقلت إليه أحجار البناء وعمده الرخام من جامع السلطان بيبرس البندقدارى.

٨. رواق الحنابلة: ويقع بجوار زاوية العميان، أنشأه الأمير كتخدا منشىء الزاوية نفسها على جزء صغير من الزاوية، وهو يحتوى على بعض المساكن العلوية، وقد جدد تلك المساكن فيما بعد راتب باشا الكبير. وأجرى على شيخ الرواق وتلاميذه مرتبات كبيرة وجراية قدرها مائة وعشرون رغيفا كل يوم.

٩. الرواق العباسى: أنشأه الخديوى عباس حلمى الثانى عام ١٣١٥هـ فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى للأزهر وأنفقت عليه الأوقاف ستة آلاف وثمانين جنيها. ويقع هذا الرواق فى الحدود الغربية للجامع مطلا على الشارع، وهو يشتمل على أماكن متعددة، وكان يجمع الكثير من أهالى الأروقة، وأنشأ فيه زاوية كبيرة بمحراب جميل الصنع دقيق التركيب. وأنشأ به محلا لطبيب الجامع وصيدلية ومحلا لمكتبة الجامع

وعدد أروقة الأزهر يزيد عن الثلاثين.

(١٠)

مكانة الأزهر وتقاليده العلمية

منذ أن أنشىء الأزهر تكونت له على مر السنين والقرون حرمة كبيرة وقداسة عظيمة، فقد كان ملجأ اللاجئين وملاذ الخائفين الذين يحتمون، ببنائه من حاكم مستبد أو وال قاسي، خلال القرون الوسطى وما بعدها، بل ذهب للاعتقاد بشدة قداسته أنه كثيرا ما كانت تتلى فيه أجزاء من القرآن أو البخارى دفعا للأوبئة والقحط والمجاعات، وقد صلى فيه سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى على أثر المجاعة التى شملت وادى النيل عام ٧٩٨هـ (١٣٩٥ – ١٣٩٦م)، وأكلت الأخضر واليابس وقضت على عدد كبير من المصريين، فقد صلى فى الجامع الأزهر متضرعا إلى الله تعالى أن يخفف من خطر ما أصابها راجيا إليه أن يزيح عن أهلها ما ألم بهم من النازلات.

وذكر ابن إياس أن ابن الفارض الصوفى المتوفى عام ٦٣٢هـ كان مقيما بالأزهر تبركا به.

وفى عام ١١٧٢هـ (١٥٧٨ – ١٧٥٩م) أصاب مصر وباء شديد الفتك هو الطاعون، فطلب المجاورون من شيخهم أن يقرأ لهم درسا فى البخارى عسى الله أن ينقذ الناس من شر هذا المرض.

وذكر المؤرخون أن أتباع محمد بك الألفى – أحد أمراء مصر المماليك – ظلموا أهل بليس فجاءوا صارخين ملتجئين إلى الأزهر، فقام شيخه وعلماؤه واتجهوا إلى قصر إبراهيم بك حاكم مصر فى ذاك الوقت، وطلبوا إليه أن يرفع المظالم، فأمر بأن يكف الأمراء وأتباعهم عن اغتصاب أموال الناس، وأن يسيروا فيهم سيرة حسنة، وكتب القاضى حجة بذلك.

وحدث عام ١٢٢٠هـ أن هاجم بعض الجنود بعض قرى الريف المصرى ونهبوا الفلاحين والمارة واعتدوا على النساء، فأسرع الناس لاجنين إلى الجامع الأزهر، فاتصل شيخ الجامع بأولى الشأن الذين أمروا بدورهم جنودهم بالكف عن الاعتداء على أموال الناس.

وللأزهر منذ إنشائه بعض التقاليد الخاصة التى تلازمه على مر العصور وبعضها ما يزال باقيا حتى اليوم.

كان الطلبة يسمون (المجاورين) لانهم كانوا يسكنون بجوار الأزهر ويسمون طلابا بوصفهم ممن يطلبون العلم، أما أعضاء هيئة التدريس فكانوا يسمون بالمدرسين أو الأساتذة، ولكنهم كانوا يسمون أنفسهم (خدمة العلم) تواضعا.

وكان بعض العلماء يكثرون الصمت ويقللون الكلام بقوله عليه الصلاة والسلام، "من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع".

ولم يكن يأتى إلى الأزهر من الطلاب فى الأزمان القديمة إلا كل من قارب البلوغ، ويبتدىء الطالب بمجرد وصوله إلى الأزهر بحفظ القرآن. ولكن غالبية الصعايدة لم يكونوا يهتمون بحفظه، بعكس مجاورى الوجه البحرى، فأنهم كانوا يبذلون مجهودا كبيرا فى استيعابه ليستعينوا به على الكسب.

وكان لطلبة الأزهر نظام خاص بحضورهم وغيابهم. فكان للجامع دفتر يقيد فيه أسماء المنتسبين إليه من الطلبة والمدرسين وبيان التابعين لكل رواق من أرباب الجرايات، والأزهر قديما لم يكن يسمح بالغياب بدون أذن أو الانقطاع عن حضور حلقات الدرس ويعاقب المخالف بقطع جرايته عنه. بل كان يمنع الطالب من الاشتغال بحرف خارجية.

ومع هذا فقد كان الأزهر يعوزه النظام الدقيق، فقد تمكنت بين الأزهريين عادة الغياب كما يشاءون، وكتب ضمن مجاورى الأزهر من لم يعرف بابه منذ سنين. كما كان بينهم الكثيرون من أرباب الحرف والصنائع لا يقرأون ولا يكتبون ويتناولون فى الوقت نفسه مرتباتهم مع النقباء والرقباء.

واعتاد الطلبة أن يجهزوا دروسهم قبل حضورهم على شيخهم جماعة أو أفرادا، وأحيانا يقوم أعلم الطلبة بمطالعة الدروس لإخوانه حتى إذا حضورا إلى أستاذهم كانوا على بينة ومعرفة بما سيلقى عليهم، وكانوا فى بعض الأحايين ويشتركون فى شراء الكتب الغالية الثمن ويطالعونها معا.

وكان من عادلتهم أيضا عند ختم الكتاب أن يأتوا حلق الدرس بالمباخر والقماقم الملآنة بالطيب والعطريات وبعضهم يأتى ببعض الفواكه الجافة. وبعد الختم يرتل بعض الحاضرين شيئا من القرآن ثم يرش عليهم ماء الورد وتنثر عليهم الفواكه من اللوز والتمر، ثم يقبلون يد شيخهم.

ومن تقاليدهم كذلك عدم الاطلاع على مذهب غيرهم، فالشافعى لا يعنى بمعرفة قواعد المذهب المالكى مثلا.

وكان المجاورون الصعايدة يحملون معهم من بلادهم موءونة طعام تكفيهم نصف عام أو أكثر، وبعض النقود، كل على حسب مقدرته المالية. ومعظمهم لم يكن يقطن الأزهر، بل يسكن الوكالات والتكايا مع تقييد أسمائهم فى دفتر رواقهم ليكون لهم حق الاستيلاء على الجراية. أما من كان يسكن الأزهر منهم فهو الفقير المعدم. ونادرا ما كان الصعايدة يتركون القاهرة للسفر إلى بلادهم خلال الأجازات المدرسية لبعد بلادهم عن العاصمة، بل ينتظرون حلول عطلتهم الدراسية السنوية التى كانت تبتدىء من رجب إلى شوال، وقد يتزوجون أثناء هذه الفترة ويتركون زوجاتهم فى بلادهم. ومن الصعايدة من لم يكن يبرح القاهرة طيلة حياته الدراسية حتى ينال إجازة الأزهر.

أما أهل الوجه البحرى فكانوا كثيرى الزيارة لبلادهم لقربها من القاهرة خصوصا فى العطلات الرسمية كالعيدين ومولد السيد البدوى والمولد النبوى ويوم عاشوراء ومولد سيدنا الحسين ومهرجان المحمل ومهرجان قطع الخليج. فكانوا يحضرن من بلادهم حاملين القليل من الزاد الذى يتجدد كل شهر. ومعظمهم كان يسكن الأزهر لقلة متاعهم وشدة فقرهم، فكانوا ينشرون خُبْزهم فى صحن الجامع ليجف ويبلونه بقليل من ماء الصهاريج عند الطعام ليسهل مضغه.

ومعظم المجاورين من أهل مصر لم يكن لهم مورد رزق ولا طرق كسب. فقليل منهم كان ينفق ما يرسل إليه من مال من أقربائه، والباقون سواء أكانوا طلبة أو مدرسين، كان جل اعتمادهم على ما يصيبهم من إيرادات أوقاف الجامع أو هبات أهل اليسار والخير، فإذا قل إيراد الأوقاف والصدقات فى سنة من السنين، بحيث

أصبح لا يكفى الطلاب اضطروا إلى البحث عن مورد آخر للعيش، فكانوا يؤدون بعض الخدمات من الأسواق أو يرتلون القرآن أو يلقون الناشئة العلم أو ينسخون الكتب والمخطوطات.

وكان المجاورون يقومون بخدمة أنفسهم بأنفسهم، فيغسلون ثيابهم ويطهون طعامهم، بعضها مصبوغا بالنيلة وبعضها غير مصبوغ. وهم يختلفون فى الزى تبعا لاختلاف بلادهم وثروتهم. وكانوا يستعملون الفراوى فى الجلوس عليها أثناء الدرس أو النوم أو فى الأروقة أو الجلوس عليها فى الشتاء فى شمس صحن الجامع.

أما أهل الأقطار الخارجية، أى المجاورون الغرباء فكانوا أحسن حالا وأنظف ثيابا وأبدانا، لما كان لهم من المرتبات الحسنة والمال الكافى. ومعظمهم كان يسكن الأزهر مع النظافة فى الفرش والكفاية. والفقير منهم كان يتقرب إلى الأمراء والأغنياء ليصيب منهم ما يكفيه للاستمرار فى الدراسة.

ولم يكن المجاور يستطيع السفر إلا بعد أن ينال إجازة من شيخه متوجة باسمه، تشهد للطالب بأنه أهل للتدريس والإفتاء. ويوصيه الشيخ قبل سفره بالتقوى والتحرى عن الأحكام والعدل فيها.

وكان المدرسون فى أول الأمر يلبسون الملابس الخشنة، ومع ذلك فقد كانوا موضع احترام وإعزاز من الأمراء والأعيان والطلبة، وكان لهم نفوذ كبير لما كانوا عليه من التقوى والورع. وتغير الحال بعد ذلك، فأصبح الشيوخ يلبسون الأقبية المفرجة المسماه بالفراجيات، وهى أردية ذات كمين واسعين تصنع من الجوخ وغيره، ويتمشون بالقفاطين والطنافس الفاخرة التى كانت تلبس فى بعض المناسبات كالعيدين والموالد ومقابلة الوالى.

وكان أغلب الطلبة يرتدون العمامة البيضاء، أما السادة الأشراف منهم فقد صدر لهم عام ٧٧٣هـ فى عصر الأشرف شعبان بن الناصر قلاوون سلطان مصر إقرار رسمى بالسماح لهم بلبس العمامة الخضراء.

فكان الطلبة يتبعون فى أغلب الأحيان مذاهب آبائهم حينما كانت مشيخة الأزهر متبادلة بين الشافعية والمالكية، ثم حدث أن انحصرت الفتوى فى مذهب أبى

حنيفة، فاضطر معظم الطلاب إلى اعتناق المذهب الحنفى لاعتمادهم بعد تخرجهم من الأزهر فى معيشتهم على الإفتاء.

وكان المدرسون والطلبة يتمتعون بالإعفاء من الانخراط فى سلك الجيش ولم يكن نظام الامتحان الحالى معروفا بالأزهر فى أيامه الأولى ولم يكن الأستاذ يهتم بحضور الطلبة حلقة الدرس أو تخلفهم عنها. إنما كان يتركهم أحرارا. وحسب حضورهم تأتى درجاتهم. وكان الغالب على أولاد العلماء المشهورين عدم النجاح لتكاسلهم واعتمادهم على شهرة آبائهم.

وكانت الدراسة الأسبوعية تنتهى يوم الخميس بعد انتهاء درس الفقه ثم تبتدىء بعد غروب الشمس يوم الجمعة فكان المجاورون يخرجون فى يوم الخميس إلى حى بولاق للرياضة.

الأزهر بيت العلم العتيق ومثابة الثقافة الإسلامية. حمل لواء المعرفة فى مصر وفى الشرق الإسلامى قرونا متصلة وحفظ التراث الإسلامى فى الدين واللغة والعلوم ونشره على الآفاق طيلة ألف سنة أو يزيد. وقد تخرج فيه أفواج من العلماء خلال عصور التاريخ ممن انتشروا فى بقاع الأرض وحملوا معهم مشاعل المعرفة والثقافة التى تزودوا بها فى الأزهر فاضاءوا الأرض علما ونورا ورشادا.

وما يزال الأزهر حتى اليوم كعبة العلوم والآداب ومعقد آمال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

والأزهر هو الذى حفظ العلوم الإسلامية واللغة العربية من الضياع والاندثار وهو الذى حفظ للأدب العربى، فى شتى بلاد العروبة، رونقه وبهاءه. وقد تخرج فيه العديد من العلماء والأدباء والكتاب والخطباء والشعراء فى كل عصر وكل جيل.

(١١)

والأزهر منذ أنشىء حتى اليوم هو الذى يتولى قيادة الحركة الدينية فى العالم الإسلامى، وآراء شيوخه هى الحجة القوية التى يقابلها المسلمون فى شتى بقاع الأرض بالطاعة والامتثال والقبول. وقد خرج الأزهر الكثير من رجال الدين منذ

أنشىء إلى اليوم. وخريجوه هم الذين تولوا قيادة الحركة الدينية فى كل مكان من بلاد العالم الإسلامى.

وفى الأزهر هيئة كبار العلماء التى أنشئت بمقتضى قانون عام ١٩١١م وفيه كذلك لجنة للفتوى عام ١٩٣٧م، هاتان الهيئتان لهما أثر كبير فى التوجيه الدينى فى العالم الإسلامى.

ومن أعلام الأزهر وأئمته فى التوجيه الدينى الإمام محمد عبده (١٢٦٦هـ - ١٩٠٥م) وله فضل كبير فى الإصلاح الدينى وفى إصلاح الأزهر.

ومن أعلامه كذلك محمد مصطفى المراغى، ومصطفى عبد الرازق وسواهما ممن قادوا الحركة الدينية ووجهوها توجيها قويا فى العالم الإسلامى كافة.

والأزهر بحق قائد الحركة الدينية فى العالم الإسلامى قاطبة.

ولقد ورث الأزهر الحديث ميراثا روحيا وثقافيا ضخما جليلا عن الأزهر القديم، ورث عنه الرسالة الدينية التى قام منذ أن أنشىء لحمل أمانتها، والتى أخذها بكلتا يديه ليؤديها إلى العالم شعلة مضيئة هادية، ومثلا إنسانيا رفيعا، ومذهبا فكريا قادرا على قيادة الحياة والبشرية جميعا إلى السلام والإخاء والأمن والرفاهية.

وورث عنه الرسالة الثقافية التى جاهد من أجلها أجيالا طوالا، والتى قامت عليها أروقته ومحاربيه وقبابه ومآذنه الشم، ودأبت على الكفاح فى سبيلها حلقاته الطاهرة، التى تجمع فيها شباب المسلمين - من شتى الأقطار والشعوب، على كلمة الحق والتقوى والمعرفة، استجابة لأمر الله، وتحقيقا لفكرة الإسلام، وسعيا وراء الحقيقة التى هى أكبر محرر للأمم، والجماعات والأفراد، من أغلال الجهل والجمود والتأخر.

وعاشت حلقات الأزهر الجليلة طويلا خلال هذه الأجيال، وهى تحمل عن العالم الإسلامى رسالة الإسلام الروحية والدينية والثقافية، وتؤديها ناصعة بيضاء كخيوط الفجر، مشرقة هادية كضوء الشمس، ومن هذه الحلقات تخرج زعماء العالم الإسلامى فى القديم، وكانت عن جدارة بمثابة مصنع يصنع الرجلان والأبطال ممن

قادوا الشعوب الإسلامية إلى النهضة، والحضارة والعزة، مما جعل للأزهر مكانة كبرى في العالم الإسلامي.

ولا ننسى أن الأزهر قد قاد في القديم ثورتين كبيرتين تعدان من أسبق الثورات الدستورية العالمية، قاد إحداهما عام ١٢٠٠هـ - يناير ١٧٨٦م، الشيخ الدردير، وقاد الأخرى عام ١٢٠٩هـ - ١٧٩٥م شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ عبد الله الشرقاوي، وكسب الشعب المصري من الثورة الأولى مبدأ دستوريا جليلا هو وجوب احترام الحاكم لإرادة المحكومين، وكسب من الثانية مبدأ آخر هو أن الأمة مصدر السلطان، وكانت بمثابة إعلان لحقوق الإنسان، ووثيقة فريدة في سبيل التحرير سبق بها شعب مصر غيره من الشعوب، كما اعترف بذلك المؤرخون من العرب والغرب.

وقد حمل علماء الأزهر عبء الجهاد لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسي منذ دخل جيش نابليون أرض الوطن فاتحا. ولا ننسى كذلك أن الأزهر قام بثورة ثالثة في صفر عام ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م لإنهاء النفوذ التركي من مصر، ولكن دجالا سياسيا بارعا يتدفق في أعصابه الدم التركي استطاع بدهائه أن يحول المعركة إلى مغانم شخصية له ولاسرته التي حكمت مصر نحو قرن ونصف من الزمان.

وكان قائد الثورة الرابعة كذلك أزهريا صميما، هو الزعيم الوطني القائد "أحمد عرابي" الذي قاد الثورة العرابية للقضاء على نفوذ المستعمرين من الأتراك والمستغلين من الإنجليز. كما كان زعيم الثورة الشعبية الخامسة أزهريا صميما هو المرحوم سعد زغلول، الذي كان يعمل للقضاء على الاستعمار الإنجليزي وتحرير شعب مصر من أغلاله. ولا ننسى كذلك أن قادة ثورة مصر الأحرار تتلمذوا على شيخ أزهري ورع زاهد متصوف كان رائدا روحيا لهم هو الشيخ محمد الاودن من علماء الأزهر المعاصرين

(١٢)

تطورت البيئة الثقافية في الأزهر في العصر الحديث: بتأثير الحضارة الفكرية الغربية، وبفضل لفيف من علمائه الأعلام الخالدين.

ومن الحق أن الأزهر منذ بدأ القرن التاسع عشر كان يتطلع إلى ثقافة الغرب وحضارته فى شىء من الفتور والكراهية، إيمانا بقومية المسلمين السياسية والفكرية والثقافية. ولكنه لم يجحد فكرة السعى إلى النهضة، أو الإيمان بالتطور: فسافر بعض أبنائه فى بعثات حكومية إلى باريس ولندن وسواهما من عواصم الغرب، وكان من أشهرهم رفاعة الطهطاوى.

وتطلع بعض علمائه فى أواخر القرن التاسع عشر إلى معرفة بعض اللغات الغربية لدراسة أصول حضارة الغرب الحديثة الفكرية والثقافية، وللرد على ما يثيره بعض الغربيين حول الإسلام من شبهات، وكان فى مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده الذى كان أكبر رائد أزهرى للفكر المصرى فى العصر الحديث.

ولقد نهض شيوخ الأزهر منذ أواخر القرن التاسع عشر بعبء إصلاح البيئة الثقافية داخل الأزهر، وبعث روح التجديد والحياة فى حلقات الأزهر العلمية، لتكون على صلة بينابيع الفكر الحديثة المتدفقة. وفى الحق أن الأزهر المحافظ المتمسك بتقاليده وشعائره ونظمه وحياته الثقافية كان أرجح كفه من عوامل التجديد، وتيارات الجديد.

وقد حمل علماء الأزهر عبء الجهاد لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسى منذ دخل جيش نابليون أرض الوطن فاتحا. ولا ننسى كذلك أن الأزهر قام بثورة ثالثة فى صفر عام ١٢٢٠هـ — ١٨٠٥م لإنهاء النفوذ التركى من مصر، ولكن دجالا سياسيا بارعا يتدفق فى أعصابه الدم التركى استطاع بدهائه أن يحول المعركة إلى مغانم شخصية له لأسرته التى حكمت نحو قرن ونصف من الزمان.

وكان قائد الثورة الرابعة كذلك أزهريا صميما، هو الزعيم الوطنى القائد "احمد عرابى" الذى قاد الثورة العرابية للقضاء على نفوذ المستعمرين من الأتراك والمستغلين من الإنجليز. كما كان زعيم الثورة الشعبية الخامسة أزهريا صميما هو المرحوم سعد زغلول، الذى كان يعمل للقضاء على الاستعمار الإنجليزى وتحرير شعب مصر من أغلاله. ولا ننسى كذلك أن قادة ثورة مصر الأحرار تتلمذوا على شيخ

أزهرى ورع زاهد متصوف كان رائدا روحيا لهم هو الشيخ الاودن من علماء الأزهر المعاصرين.

(١٣)

ولقد تطورت البيئة الثقافية فى الأزهر فى العصر الحديث: بتأثير الحضارة الفكرية الغربية، وبفضل لفيف من علمائه الأعلام الخالدين.

ومن الحق أن الأزهر منذ بدأ القرن التاسع عشر كان يتطلع إلى ثقافة الغرب وحضارته فى شىء من الفتور والكراهية، إيمانا بقومية المسلمين السياسية والفكرية والثقافية، ولكنه لم يجحد فكرة السعى إلى النهضة، أو الإيمان بالتطور: فسافر بعض أبنائه فى بعثات حكومية إلى باريس ولندن وسواهما من عواصم الغرب وكان من أشهرهم رفاعة الطهطاوى.

وتطلع بعض علمائه فى أواخر القرن التاسع عشر إلى معرفة اللغات الغربية لدراسة أصول حضارة الغرب الحديثة الفكرية والثقافية، وللرد على ما يثيره بعض الغربيين حول الإسلام من شبهات، وكان فى مقدمة هؤلاء الإمام محمد عبده الذى كان أكبر رائد أزهرى للفكر المصرى الحديث.

ولقد نهض شيوخ الأزهر منذ أواخر القرن التاسع عشر بعبء إصلاح البيئة الثقافية داخل الأزهر، وبعث روح التجديد والحياة فى حلقات الأزهر العلمية، لتكون فى صلة بينابيع الفكر الحديثة المتدفقة. وفى الحق أن الأزهر المحافظ المتمسك بتقاليده وشعائره ونظمه وحياته الثقافية كان أرجح كفه من عوامل التجديد، وتيارات الجديد.

وكان لكل مذهب من المذاهب الأربعة عمود معين من عمد الجامع لا يتعدى عليه أحد وإلا نشب عراك شديد. وكان شيخ المذهب هو المنوط بالدفاع عن العمود، فإذا تفاقم الخلاف رفع الأمر إلى شيخ الجامع الذى كان الفيصل فى كل خلاف، وكان من عادة شيخ المذهب أثناء إلقاء الدرس أن يجلس على الأرض بجانب العمود مستقبلا القبلة، ثم استعاض المشايخ عن ذلك بالجلوس على كراسى

من الخشب أو الجريد بعد أن كانت تلك الكراسى من أخص امتيازات كبار العلماء فيه.

وكان الطلبة يجلسون حول أستاذهم على هيئة حلقة. ولكل طالب فى الحلقة مكان لا يتعداه، وكانت طريقة التعليم إذ ذاك هى الطريقة الإملائية، يبتدىء الشيخ الدرس بالبسملة والحمد لله والصلاة على النبى، ثم يأخذ فى إملاء الدرس على تلاميذه. وأثناء ذلك يقوم الطلبة بسؤال أستاذهم فيما غمض عليهم. فقد كان عماد الدراسة إذ ذاك المناقشة والحوار بين الطلبة وأستاذهم بما يثقف العقل وينمى ملكة الفهم، فإذا انتهى الدرس قبل الطلبة يد شيخهم.

ولم يكن الأزهر نظام امتحانات فى عهده البدائى، بل كانت الإجازة التى يعطيها الشيخ لتلميذه، ولها قيمة عظيمة فى تلك الأزمان القديمة، تدل على أن الطالب قد فهم نصا معينا، وتجعله أهلا للتدريس. وكان الطالب يتلقى العلم زمنا طويلا، فإذا أنس فى نفسه القدرة على التصدير للعلم، أعلن ذلك بين زملائه وشيوخه. فتعقد فى إيوان الأزهر حلقة من العلماء النابهين، يجلس الطالب فى صدرها ويناقش نقاشا حادا فى المادة التى يدرسها وفى جميع المواد التى تجرها المناسبات، فإذا أثبت الطالب كفاءة ممتازة أعطى حق التدريس.

وكانت المواد الأساسية التى تدرس إحد ى عشر مادة كلها علوم دينية وعربية، يزيد عليها علم المنطق لمن يمتحن من طلاب العالمية. ونورد هنا لتلك الاجازات التى كانت تمنح لطلاب الأزهر. فقد جاء فى سند الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى المتوفى عام ١١٩٢هـ ما لخصه أنه تلقى فى الأزهر العلوم الآتية : وله تأليف فى كثير منها وهى الحساب والميقات والجبر والمقابلة والمنحرفات وأسباب الأمراض وعلاماتها، وعلم الاسطر لاب والزيج والهندسة والهيئة وعلم الابماطيقى وعلم المزاول وعلم الأعمال الرصدية وعلم المواليد الثلاثة وهى الحيوان والنبات والمعادن، وعلم استنباط المياه وعلاج البواسير وعلم التشريح وعلاج لسع العقرب وتاريخ العرب والعجم.

ومن مأثور ذلك الزمن عن علماء الأزهر، أن العلم مقصود لذاته وأن طالبه يجب أن يتجرد من ملاهى الدنيا ولا يتطلع لحطامها، وهو قول كان له قديما أحسن الأثر فى نفوس الأزهريين، الذين أحبوا العلم حبا جما، وقنعوا بما ساق الله إليهم من الرزق، وعاشوا عيشة راضية يحدها التقشف والزهد، وكلهم موضع احترام الكبير والصغير.

وهذا التصور يتمثل فى تقديم العلوم، ففى رأسها توجد العلوم النقلية مثل علم التوحيد والفقه والحديث والتصوف، ثم تأتى بعدها العلوم العقلية مثل علوم اللغة والعروض والبلاغة والمنطق وعلم الهيئة، ولم يدرس علم الهيئة إلا لأغراض علمية، مثل علم التقاويم وتحديد مواقيت الصلاة، ومن العلوم العقلية أيضا الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضة، ولكن أهملت دراستها منذ القرون الوسطى، وإذا درست فإنما تدرس بشكل ثانوى ومن مصادر تافهة. ويقول الشيخ عياد الطنطاوى الذى كان يدرس فى الأزهر حوالى عام ١٨٢٧م قبل سفره إلى "سنت بطر سبرج" أنه لا يعرف أحد قبله، قرأ فى الأزهر ما قرأه هومن مقامات الحريرى والمعلقات مع شرح الزوزنى. ولم تتأثر الجامعة الأزهرية بالعلوم المدنية التى جاءت إلى مصر من أوربا فى القرن التاسع عشر وأثرت فيها تأثيرا قويا.

وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئا فشيئا إلى الأزهر كما تسرب إلى غيره من الجوامع الإسلامية الأخرى حتى انتهى الأمر بإهمال تدريسها إهمالا تاما، ويخبرنا الجبرتى بذلك فيقول: إنه تولى حكم مصر عام ١١٦١هـ أحمد باشا كور، وكان ولعا بالعلوم الرياضية " فلما استقر بقلعة مصر، قابل صدور العلماء، ومنهم اللشيخ عبد الله الشبراوى شيخ الأزهر فتكلم معهم فى الرياضات، فقالوا له لا نعرف هذه العلوم، فتعجب وسكت" وكان الشبراوى يتردد على الباشا يوم الجمعة، إذ كان خطيب جامع السراى فقال له الباشا : "المسموع عندنا بالديار التركية أن مصر منبع الفضائل والعلوم،وكنت فى غاية الشروق إلى المجىء إليها، فلما جئتهاوجدتها كما قيل" تسمع بالمعدى خير من أن تراه"فقال له الشيخ: (يا مولاى، هى كما سمعتم معدن العلوم والمعارف) فقال : "وأين هى وأنتم أعظم علمائها وقد

سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني ، وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل، ونبذتم المقاصد". فقال الشيخ: (نحن لسنا أعظم علمائها. وإنما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم، وأغلب أهل الأزهر لا يشتغلون بالرياضات، إلا بقدر الحاجة لعلم المواريث).

واستمر الحال كذلك من إهمال تدريس العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية، فقد نهى أهل الأزهر عن قرائتها ونسبوا الكفر لمن يطالعها، وفعلوا ذلك مع جمال الدين الأفغاني عند حضوره إلى مصر عام ١٢٨٨هـ، وكان قد رأى ما آلت إليه تلك العلوم، فأوقف جهوده على نشرها، مستعينا بتلميذيه الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الله وافي الفيومي.

وقد تنبه لتلك الحالة في الأزهر كثير من الأساتذة والعلماء وكثير من أمراء مصر ووزرائها، فسعوا إلى إعادة تدريس تلك العلوم ولكنهم خشوا الطفرة ونتائجها. فتحايلوا باستطلاع رأى بعض كبار العلماء تمهيدا لذلك. فأعزوا إلى الشيخ محمد بيرم قاضي مصر حينذاك بمقابلة المرحومين الشيخ محمد الإنبابي شيخ الإسلام والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية. واتفقوا على أن يفتي لهما الشيخ محمد الإنبابي الفتوى الآتية : " ما قولكم رضي الله عنكم، هلى يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضة مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف، ولا سيما ما ينبني عليه زيادة القوة في الأمة، بما تجاري به الأمم المعاصرين، لها في كل ما يشمله الأمر بالاستعداد، بل هل تجب بعض تلك العلوم على طائفة من الأمة بمعنى أن يكون واجبا وجوبا كفائيا على نحو التفصيل الذي ذكره فيها الإمام حجة الإسلام الغزال في إحياء العلوم ونقله علماء الحنفية وأقروه. وإذا كان الحكم فيها كذلك، فهل يجوز قراءتها مثلما تجوز قراءة العلوم الالية من نحو وغيره الرائحة الآن بالجامع الأزهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها؟ أفيدوا الجواب، لازلتم مقصدا لأولي الألباب

فأجابه الشيخ الإنبابي عام ١٣٠٥هـ بالفتوى الآتية:

((يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافيا لأنه لا تفرض فيها لشيء من الأمور الدينية، بل يجب منها ما تتوقف عليها مصلحة دينية أو دنيوية وجوبا كفاءيا، كما يجب علم الطب كذلك، كما أفاد الغزالى فى موضع من الإحياء، وأن ما زاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن فى القدر الواجب فتعلمه فضيلة، ولا يدخل فى علم الهيئة الباحث عن أشكال الأفلاك والكواكب ومسيرها علم التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم، وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية فإنه حرام كما قال الغزالى وعلل ذلك بما محصله أنه يخشى من ممارسة نسبة التأثير للكواكب والتعرض للأحياء بالمغيبات، مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط أو الأسباب عليها لدقتها.

وأما الطبيعيات، وهى الباحثة عن صفات الأجسام وخواصها، وكيفية استحالتها وتغييرها، كما فى الإحياء فى الباب الثانى من كتاب العلم. فإن كان هذا البحث عن طريق أهل الشرع فلا مانع منها كما أفاده العلامة شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيثمى فى جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة، بل لها حينئذ أهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن فى علم الطب، وكمعرفة علم الآلات النافعة فى مصالح العباد. وإن كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لأنه يؤدى الى الوقوع فى العقائد المخالفة للشرع ، كما أفاده العلامة المذكور. نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليه مما ذكر قياسا على النطق المختلف بالفلسفة على ما هو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة. ثانيها الجواز مطلقا .... وثالثها المنع مطلقا...

وأما علم تركيب الأجزاء المعبر عنها بالكيمياء، فإذ كان المراد به مجرد البحث عن التركيبة والتحليل بدون تعرض لما يخشى منه على العقيدة الإسلامية، فلا بأس به، بل له أهميته حسب ثمرته. وإلا جرت فيه الأقوال الثلاثة المتقدمة.

وأما العلم المعروف بعلم جابر وسمى أيضا علم الصنعة وعلم الكاف وهو أيضا الذى ينصرف إليه علم الكيمياء عند غالب الناس، فقد أفاد العلامة ابن حجر فى

شرحه على المنهاج أنه إن قلنا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته، وكان العلم الموصل لذلك يقينا، جاز تعليمه والعمل به. وإلا حرم، ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيما رأينا إلا على ضياع الأموال وتشتت البال وتغيير الأحوال.

نعلم أن العلوم الرياضية لا بأس من قرائتها كما تقرأ علوم الآلات، وكذلك الطبيعيات وعلم تركيب الأجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل. بل يجب كفاية من هذه الثلاثة ما يحتاج إليه فى الحجاج من العقائد الدينية)).

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتى الديار المصرية عام ١٣٠٥ الفتوى الرسمية الآتية رقم ١٧١ " ما أفاده حضرة الأستاذ شيخ الإسلام موافق لمذهبنا وما استظهره من أن الخلاف الجارى فى علم المنطق يجرى فى علم الطبيعة أيضا.

وهذه الردود نفسها تشف عن أنياب رؤساء الأزهر فى ذلك العهد بهذه العلوم وعن عدواتهم لها، ولكن الجهر هكذا بوجوب إدخالها الأزهر، برهان ساطع على أن روحا جديدة قد ابتدأت تجتاح الأزهر فى ذلك الوقت وإن كان دخول تلك العلوم لم يتم إلا فى عصر الخديو عباس الثانى.

أما فى تلك الحقبة من الزمن فقد كانت أهمية كل علم من العلوم تقف لا باعتبار قيمته المورثة، بل باعتبار شيوعه وإقبال الطلاب عليه، فإننا نرى أن أعلاها مرتبة وهو علم الفقه لأهميته فى الحياة العلمية ولكثرة الوظائف التى يؤهل لها.

كما عظم إقبال الطلبة على علوم اللغة والبلاغة ودروس المبادىء التى كانت تخصص للناشئة من الأغراب والأجانب، وكان أهم العلوم دراسة هو علم الكلام أو التوحيد ويليه تفسير القرآن والحديث الشريف.

وكان لمذهب أهل السنة دائما أثر كبير فى الأزهر وبخاصة فى إدارته، فقد أخرج الشيعة منذ أيام الفاطميين، أما الحنابلة فلم يعين واحد منهم لقلة عددهم وضعف نفوذهم. وكان للمالكية الذين يعيشون غالبا فى صعيد مصر وفى بلاد الدلتا مقام كبير محترم وأن يخوله لهم من تولى مشيخة الأزهر، ولم يعملوا قط على

الاحتفاظ بالنفوذ الذى يخوله لهم كثرة عددهم فظلت المنافسة محصورة دائما بين الشافعية أتباع المذهب السائد وأتباع المذهب الحنفى الذى كان مذهب الباب العالى وأتباعه التتر والقوقاز والترك والذين كانوا ذوى نفوذ كبير عدة قرون. وهذا الخلاف استغله الحكام لبسط نفوذهم على البلاد ولتحويل الأزهريين الذين كانوا يقربون إليهم إلى المذهب الحنفى.

وقد قامت بين رجال الدين والمتصوفة كثير من المشاحنات هددت مراكز رجال الدين فى كثير من الأحيان. وإن كان المتصوفة قد تعرضوا لمهاجمات شديدة من رجال الدين عندما كان المتصوفة يحاولون تجريح آراء رجال الدين أو تعطيل أصول بعض العقائد، وكانت الغلبة فى النهاية لرجال الدين، وإن تركوا الصوفية أحرارا فى الاشتغال بالتصوف وروسمه ومناسكه عائشين عيشة وادعة يلطفها الزهد.

ولم يكن بالأزهر حتى آخر العقد الأول من القرن العشرين قانون يضبط أوقات الدروس وعدد الحصص اليومية ولكن جرت العادة من زمن قديم أن تكون كما يلى:

بعد الفجر: النفسير والحديث، بعد الشروق: الفقه.

بعد الظهر: النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع والأصول.

بعد العصر: الحساب والتاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الحديثة.

بعد لغروب: المنطق وآداب البحث والهيئة.

ومدة الدرس عادة ساعة أو ساعتان وأغلب الطلبة يتلقى كل منهم درسين صباحا ودرسين مساء، وبعضهم يتلقى أكثر من ذلك وبعضهم أقل حسب نشاط كل منهم وعدد العلوم التى يرغب فى تلقيها.

الأزهر فى الهند

دعت جمعية التعليم الإسلامى فى ممباد بولاية كيرالا جنوبى الهند، ممثلى الجامعات الإسلامية والعربية فى الخارج من الأساتذة الباحثين والأدباء للمشاركة مع أساتذة العلوم الإسلامية والدراسات العربية للهنود فى عقد ندوة عالمية عن مميزات الأدب العربى المعاصر استمرت من ١٨ يناير الماضى حتى ٢٢ منه وأقيمت الجلسات الصباحية والمسائية بكلية العلوم العصرية والآداب والفنون التابعة للجمعية فى ممباد.

وقد مثل مصر وفد مكون من فضيلة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى الأستاذ بجامعة الأزهر والعميد السابق بكلية اللغة العربية عن جامعة الأزهر، والأستاذ جابر حمزة فراج مدير الإعلام بالأزهر عن الأزهر الشريف.

تضمن برنامج الندوة لقاء دراسات وبحوث عن مذاهب الأدب العربى ومدارسه وقضاياه فى العالم العربى. ألقى الدكتور خفاجى بحثا مطولا عن مدارس الشعر المعاصر فى مصر وبخاصة مدرسة البعث ومدرسة الديوان ومدرسة أبو للو. وفيما يلى يحدثنا فضيلته عن هذه المرحلة العلمية وعن الندوة العالمية الأدبية التى شارك فيها باسم مصر.

أنشئت الكلية الداعية إلى المؤتمر عام ١٩٦٥ من أجل نشر الثقافة والمعرفة، وإعداد جيل من الشباب إعدادا متينا وخدمة التراث العربى الضخم الذى خلفه العلماء القدماء فى كيرالا، ومن أجل قيام دراسات عليا فى شتى فروع العلوم والآداب.

والدراسة فى هذه الكلية تنتهى بمرحلة درجة الماجستير فى اللغة العربية وفى علم الحيوان وبمرحلة الليسانس فى التاريخ والاقتصاد ومختلف العلوم والمستوى التعليمى والثقافى فى الكلية مستوى مشرف وتتبع هذه الكلية جامعة كاليكوت، ونشاط الطلبة فى حقول الرياضيات والخدمات الاجتماعية يمثل سلسلة من الإنجازات والتميز الملموس مما نوهت به السلطات المدنية.. وفى الكلية مكتبة حافلة تضم نحو العشرين ألف مجلد باللغة الإنجليزية والعربية ولغة ملايالم.

وقابلنا البروفيسور د. عبد السلام عبد الله عميد الكلية بترحاب شديد، كما قابلنا البروفيسور عبد العزيز المنقادى رئيس قسم اللغة العربية فى الكلية بود وإخاء عميق، ونزلنا فى فندق جميل حجزت جميع حجراته لنزول الوفود الجامعية القادمة إلى المؤتمر من مصر والسعودية وقطر والإمارات العربية وغيرها.

واسترحنا فى الفندق صباح الأحد ١٨ من يناير قليلا ثم قمنا لتناول طعام الإفطار وبعد ذلك بقليل بدأ المؤتمر جلسته الصباحية الأولى، وهى جلسة الافتتاح التى حضرها ممثلو أكثر الجامعات الهندية فى الشمال والجنوب.

وظل المؤتمر يعقد جلسة صباحية وجلسة مسائية طيلة أيام الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء وهو آخر أيام انعقاد المؤتمر وقد أعلنت فى أخر الجلسات قرارات المؤتمر.

وكانت الموضوعات التى طرحت للبحث والدراسة فى المؤتمر تتناول المذاهب الأدبية والنقدية المعاصرة، ونهضات الأدب فى مختلف أنحاء الوطن العربى، وأثر مأساة فلسطين فى الشعر، وقضية الالتزام فى الأدب والفن. ووظيفة الأدب فى الإصلاح الاجتماعى ومنزلة الأدب بين الآداب العالمية والجذور الاجتماعية لحركة الشعر الحر، إلى غير ذلك من الموضوعات المتصلة بالحركة الأدبية المعاصرة فى العالم العربى.

افتتح جلسة الصباح من يوم الأحد ١٨ يناير الدكتور عبد الغفور رئيس جمعية التعليم لعموم الهند، ثم تلاه عميد الكلية البروفيسور س.أ عبد السلام، ثم رئيس لجنة إدارة الكلية ب.و. عمرو كوتى حاجى ورئيس الندوة البروفيسور عبد العزيز كمالى المنقادى رئيس قسم اللغة العربية لدراسات الماجستير. وألقى جميع أعضاء الوفود كلمات تحية للمؤتمر.

أما جلسة المساء فقد دارت فيها مناقشات خصبة حول مذاهب الأدب والنقد المعاصرين وكان الجدل يدور حول مذهب مدرسة أبولو فى النقد، وتحدثت أنا وصديقى د. عبد الكريم الأشتر الأستاذ بجامعة الإمارات العربية فى هذا الجانب طويلا، كما ثار الحوار حول مذهب أبى شادى فى النقد وقضايا آخرى وفى الجلسة

الصباحية المعقودة فى اليوم الثانى من أيام انعقاد المؤتمر- الإثنين التاسع عشر من يناير ألقى زميلى الأستاذ جابر حمزة فراج مدير الإعلام بالأزهر بحثا خصبا حول الأدب وصلته بالدين كما ألقى ثلاثة من الأساتذة الهنود بحوثا عن الشعر العربى المعاصر.

وفى جلسة المساء من اليوم نفسه دارت مناقشات جادة حول الأدب والالتزام، وكان لى وللأستاذ جابر والدكتور عبد الكريم الأشتر، والدكتور على الهاشمى والأستاذ عبد العزيز كمالى المنقادى وعبد الله الأزهرى الهندى كلمات مفصلة عن جوهر هذه القضية. وتحدثت طويلا عن مدارس الرواية العربية المعاصرة ومدى تأثيرها فى الإصلاح الاجتماعى، وأثر توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وثروت أباظة فى الرواية المعاصرة وأثر رواية الأرض لعبد الرحمن الشرقاوى.

وفى اليوم الثالث من أيام انعقاد المؤتمر- الثلاثاء ٢٠ من يناير - تناولت جلسة الصباح بحثا ألقيته عن مدارس الشعر المصرى المعاصر: مدرسة البعث ومدرسة الديوان ومدرسة أبولو. وتحدث الدكتور السيد على رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة مدارس من الشعر الشامى والعراقى، وتحدث د. عبد الله الحامد عن حركة التجديد فى الشعر السعودى حيث أبان عن مدى تأثرها بمدرسة - أبولو الشعرية_ وتحدث مولانا محمد يوسف الهندى عن قضايا اللغة العربية والدكتور على الهاشمى عضو وفد جامعة الإمام محمد ابن سعود فى الرياض عن الأدب وقضية القومية وألقى د. محمود فهمى حجازى ممثل جامعة قطر بحثا عن مشكلات تعليم اللغة العربية لغير العرب.

وظل الحوار حول هذه القضايا مستمرا فى جلسة المساء أيضا.

وفى اليوم الرابع من أيام انعقاد المؤتمر ألقى د. الأشتر بحثا حول أثر النكسة فى الشعر والقصة، وألقى د. الهاشمى بحثا عن الشعر الحر دار حوله حوار كثير.

وفى جلسة المساء أعلنت قرارات المؤتمر ومنها توصيات باستمرار العناية بالأدب العربى وبالتراث العربى فى الجامعات الهندية، وبوجوب تزويد الجامعات فى

الهند بالكتب العربية، وبتبادل الخبرات والأساتذة والطلاب فى هذه الجامعات والجامعات العربية.

فقد كان جو المؤتمر والحفلات التى أقيمت خلال انعقاد المؤتمر تمثل حركة ثقافية كبيرة، تقوم بها الجامعات الهندية فى ولاية كيرالا.

وخلال انعقاد المؤتمر وبعد انعقاده زرنا الكثير من المؤسسات الثقافية فى الولاية وبخاصة المدارس والكليات والجامعات المختلفة، ومنها الكلية العربية بفاروق وكلية مدينة العلوم العربية فى يوليكل بكيرالا والكلية العربية هناك والكلية العربية العالمية فى تشمناد كاسر كود بكيرالا، وغيرها.

وكان الشعب الهندى يقابلنا بالكثير من الترحاب ولا ننسى الحفلة الرسمية التى أقيمت لنا فى كاليكوت وحضرها المسئولون فى هذه المدينة، وقد تحدثت فيها بالنيابة عن الوفود العربية.

إن الرحلة إلى ممباد لمؤتمر (مميزات الأدب العربى المعاصر) تثير العديد من القضايا الأدبية المعاصرة، وقد أثمرت العديد من الدراسات الأدبية الجادة حول كل القضايا المعاصرة فى الأدب والشعر والنقد والرواية والقصة.

(١)

شاعر الإسلام ((إقبال والأزهر))

إقبال والأزهر تأليف د/ حازم محفوظ. ونبيلة اسحاق جودهرى..

والكتاب حرى بالقراءة لأنه جديد فى أفكاره وفى موضوعه وفى أهدافه.

الكتاب يتحدث عن الصلة بين فكر الشاعر والمفكر الإسلامى الكبير محمد إقبال (١٨٧٧ - ١٩٣٨م) وفكر الأزهر الشريف.

ويقص علينا المؤلفان فى كتابهما قصة التقاء إقبال بالأزهر الشريف، حرسه الله معقلا للدين واللغة وتراث الإسلام العظيم.

لقد زار إقبال مصر عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م زيارة قصيرة والتقى بعلمائها ومفكريها وأدبائها وكتابها، وأعلام الفكر الإسلامى فيها، وزار الأزهر الشريف زيارة رسمية فى يوم السبت الخامس والعشرين من رجب عام ١٣٥٠هـ - الخامس من ديسمبر عام ١٩٣١م. وكان بصحبته غلام رسول مهر حيث طاف بكليتى الشريعة واللغة العربية، والتقى بأعضاء هيئة التدريس فى الكليتين، ثم توجه إقبال بعد هذه الزيارة إلى إدارة المعاهد الدينية فى شارع نوبار. حيث مكتب الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف، الشيخ محمد الأحمدى الظواهر ى عليه سحائب الرحمة والرضوان وأمضى إقبال بصحبة الإمام نحو ساعة، ثم انصرف مودعا بما يليق به من الحفاوة والإجلال.

وكانت هذه الزيارة وذلك اللقاء فاتحة الصلة الوثيقة بين إقبال والأزهر الشريف.

وفى عام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م زار الهند وفد رسمى أزهرى إسلامى برياسة العلامة الكبير الشيخ إبراهيم الجبالى وأمانة سر الدكتور حبيب أحمد، فاحتفى إقبال بالوفد وأعضائه احتفاء كبيرا، وكتب ونوه إقبال بالأزهر الشريف وفضله على المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها، وكتب إقبال إلى شيخ الأزهر الجديد الشيخ الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغى رسالة ينبئه فيها بأن عزم على إنشاء جامعة

إسلامية كبيرة فى إقليم بنجاب على نمط جامعة الأزهر الشريف ورجاه أن يبعث إليه مبعوثا أزهريا يعاونه فى إنشاء هذه الجامعة على نفقة جامعة الأزهر.

واستمهله الإمام الأكبر - فى رسالة بعث بها إلى إقبال - إلى ما بعد عودة البعثة الأزهرية التى أرسلت إلى إنجلترا وتوفى إقبال بعد ذلك بشهور، ونامت الفكرة بموت قطبها الأكبر إقبال رحمه الله.

الصلة بين إقبال والأزهر قامت واستمرت فى حياة إقبال وبعد وفاته ولا تزال قائمة إلى اليوم بين فكر الأزهر وفكر إقبال، لم ولن تنقطع فى يوم من الأيام.

(٢)

هذا الكتاب القيم (إقبال والأزهر) للمؤلفين الجليلين كتاب جديد فى موضوعه جديد فى فكرته، جديد فى كل ما دونه مؤلفاه الفاضلان فيه من معلومات وأحداث وأخبار.

وإقبال وفكره الإسلامى يستحقان من قراء العربية كل الحفاوة. فلقد عاش إقبال مخلصا لعقيدته ودينه، للإسلام شريعة السماء ورسالة رب العالمين على نبيه محمد خاتم النبيين.

الفصل الثانى

أعلام من الأزهر

الإمام الشيخ مأمون الشناوى

١٨٨٥ - ١٩٥٠

حياة حافلة وذكريات كريمة(*)

(١)

من بيت علم وتقوى وصلاح، كان والده الشيخ سيدأحمد الشناوى من مركز السمبلاوين، أقام فى بلدة الزرقا من أعمال مديرية الدقهلية لمصالح ماليه له، وكان عالما جليلا متفقها فى شئون الدين، وكان أخوه الأكبر فضيلة الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ سيد الشناوى من كبار وجال القضاء الشرعى، وتولى رئاسة المحكمة العليا الشرعية، ومات بعد أن ترك وراءه ذكرى عاطرة، وآثارا طيبة فى القضاء. وأحكاما تعد مثالا يحتذى فى سلامة الفهم، ونفاذ الخاطر، وسعة الاطلاع.

(٢)

ولد عام ١٨٨٥، وحفظ اقرآن الكريم فى قريته وهو فى الثانية عشر من عمره.

وأرسله والده إلى الأزهر الشريف بالقاهرة يطلب العلم، فعاش عيشة طلاب الأزهر، يوجهه أخوه الأكبر الشيخ السيد الشناوى الذى كان قد سبقه بسنوات إلى المجاورة فى الأزهر.

وكاد الشيخ محمد مأمون يسأم من حياته فى الأزهر، وينقطع عن الدراسة. ويترك التعليم، ويعيش فى قريته فلاحا يزرع الأرض. لولا أن والده أخبره أنه رأى فى نومه حلما يدل على أنه سيكون له ولدان عالمان، فاستبشر محمد مأمون بهذه الرؤيا وعاد إلى الأزهر.

وواصل الدراسة حتى كان موضع إعجاب شيوخه، وأساتذته وفى طليعتهم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والشيخ أبو الفضل الجيزاوى.

(*) من كتاب المؤلف " الإسلام ومبادئه الخالدة.

وتقدم الشاب الشيخ محمد مأمون لامتحان العالمية، ولكنه كان قد سبقته وشايات بعض الطلاب إلى أساتذته، بأنه يتناولهم بالنقد، وأنه شاعر، إلى غير ذلك. فأخذ أعضاء اللجنة يتحدونه ويتحداهم.. وكان الشيخ أبو الفضل الجيزاوى أحد الأعضاء، ولكنه لم يكن يعرف شيئا عن الوشايات التى بلغت زملاءه، ورأى هذا العالم الصغير الشاب جديرا بلقب "عالم" بل مثالا لإخوانه فى سلامة الفهم وسعة المحصول العلمى، فدافع عنه ونال شهادة العالمية عام ١٩٠٦.. ومما يذكر أنه وهو يتأهب لامتحان العالمية أصابه إجهاد شديد من كثرة المذاكرة، فذهب إلى عالم صالح من أولياء الله، يستفتيه فى أمره، فبشره هذا الولى بأنه سيكون عالما فاضلا فقاضيا عادلا، فإماما نبيلا، فرئيسا جليلا، فشيخا كبيرا.. وتحققت النبوءة على مر الأيام.

(٣)

وعين مدرسا بمعهد الإسكندرية الدينى، بعد تخرجه من الأزهر ثم اختير عام ١٩١٧ قاضيا شرعيا بعد أن طارت شهرته، وذاع صيته، وضرب أحسن الأمثال فى جلال الخلق، وسعة الأفق، وطول الباع فى الإلمام بأسرار علوم الشريعة والدين.

واختير محمد مأمون الشناوى إماما (للسراى)، ثقة بعلمه وخلقه ودينه وفضله، فكان موضع التقدير والإجلال من الجميع.

وفى عام ١٩٣٠ صدر قانون تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية فى عهد شيخه الشيخ الاحمدى الظواهرى، وأنشئت الكليات الأزهرية الثلاثة: الشريعة واللغة وأصول الدين، على نظام جامعى راق، فاختير ثلاثة من كبار رجال الدين لتولى مشيخة الكليات الثلاث، وهم: الشيخ محمد مأمون الشناوى الذى تولى مشيخة كلية الشريعة، والأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخ معهد الزقازيق الدينى حينذاك وقد تولى مشيخة كلية اللغة العربية، والشيخ الجليل المرحوم الشيخ عبد المجيد اللبان شيخ القسم العام بالأزهر الشريف الذى تولى مشيخة كلية أصول الدين.

وكان للشيخ مأمون طيب الله ثراه آثار جليلة فى التوجيه العلمى الدينى للأساتذة والطلاب.

ولما افتتحت كلية الشريعة - يوم الأربعاء ٣ من ذى الحجة عام ١٣٥٠ - ٢٩ مارس ١٩٣٣ ألقى الشيخ محمد مأمون الشناوى كلمة قيمة فى حفلة الافتتاح صور فيها سير النهضة العلمية والدينية فى الأزهر عامة وفى كلية الشريعة خاصة.

(٤)

وفى عام ١٩٣٤ منح الشيخ محمد مأمون الشناوى عضوية جماعة كبار العلماء.

ثم اختير وكيلا للأزهر بعد ذلك بعشر سنوات - ١٩٤٤ - وفى عهد وكالته للآزهر فاض الخير على العلماء، وشملهم الإنصاف وسارت الأمور فى الأزهر فى مجراها الطبيعى.. وتولى رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

وفى عام ١٩٤٥ توفى شيخ الأزهر الشريف الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى طيب الله ثراه، وأريد اختيار خلف له، وكان من الطبيعى أن يعين فى منصب المشيخة وكيل الأزهر أو أحد كبار علماء الأزهر الشريف وفى مقدمتهم الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش، ومفتى الديار حينذاك الشيخ عبد المجيد سليم، ولكن الحكومة فى عهد النقراشى أصرت على تعيين المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق فى منصب المشيخة الجليلة.

وقدم الشيخ مأمون استقالته من وكالة الأزهر، كما قدم الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش استقالته من كلية الشريعة، والشيخ عبد المجيد سليم استقالته من الإفتاء، وذلك يوم الثلاثاء ١١ ديسمبر عام ١٩٤٥.

وأصدر كبار الشيوخ وفى مقدمتهم الشيخ الشناوى بعد ذلك بيومين بيانا تاريخيا للأمة الإسلامية عن الخلاف بين الأزهر الشريف والحكومة فى شأن مشيخة الجامع الأزهر . إثر إقدام الحكومة على تعديل قانون الأزهر وتعيين المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر، وقد رفع هذا البيان إلى المسئولين فى ١٣ ديسمبر عام١٩٤٥.

(٥)

وفى مساء يوم الأحد ٧ ربيع الأول عام ١٣٦٧هـ - ١٨ يناير عام ١٩٤٨ عين الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخا للأزهر الشريف بعد شيخه الراحل المغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق.

واستقبل فضيلته من الأزهريين ومن العالم الإسلامى استقبالا رائعا وللأستاذ الأكبر الشيخ الشناوى مآثر خالدة على الأزهر فى عهد مشيخته..

ففى عهده أنشىء، معهد محمد على الدينى بالمنصورة ومعهد منوف. وأنشئت الوحدة الصحية للأزهر، وضم معهد المنيا وجرجا و سمنود إلى الأزهر. وزادات البعوث الإسلامية إلى الأزهر، كما زادت بعثات الأزهر إلى البلاد العربية الإسلامية.

وفى عهده ألغى البغاء الرسمى، وجعل الدين مادة أساسية فى المدارس، وحوربت الفوضى الخلقية والاجتماعية والصور الخليعة، وحددت الخمور فى المحلات العامة.

وفى عهده نقلت كلية اللغة من الصليبة إلى البرامونى. ونقلت كلية الشريعة إلى المبانى الجديدة للجامعة الأزهرية، واشترك الأزهر فى المؤتمر الثقافى العربى، وتمت أمانى كلية اللغة فى المساواة بينها وبين معاهد اللغة العربية المختلفة، وارتفعت ميزانية الأزهر، وقضى على الفتن المختلفة فيه، إلى غير ذلك من جلائل الأعمال.

(٦)

وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال توفى الأستاذ الأكبر الشيخ الشناوى عليه رحمة الله، ففى الساعة العاشرة من صباح اليوم الحادى والعشرين من ذى القعدة عام ١٣٦٩هـ - ٤ سبتمبر عام ١٩٥٠ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية.

وأبنته الصحف فى العالم العربى والغربى فى حسرة ولوعة وتقدير وفى ذلك تقول جريدة المصرى فى عدده سبتمبر ١٩٥٠م: فجعت مصر بل العالم الإسلامى

كله أمس بوفاة المغفور له الأستاذ الأكبر محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر.
وقد خسر العالم الإسلامى بوفاته عالما ثبتاو حجة قوية وفقدت مصر فيه الورع والتقوى والبر والخير والإخلاص لدين الله، وفقد الأزهر فيه كبير علمائه وشيخا من أخلص شيوخه. ظل يعمل لخيره، ويواصل السعى لتحقيق رسالته بين ربوع العالم الإسلامى. ولم يقعد به المرض أو النصب يوما عن مواصلة سيعه وصرف اهتمامه إليه.

تولى رحمه الله مشيخة الأزهر فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٨ وكان الأزهر فى ذلك الحين نهبا لعصبية ممقوتة وكادت تقضى على ما يتمتع به من سمعة طيبة وماله فى العالم من مكانة. فرأب الصدع ولم الشمل وقضى على الفتنة فى مهدها، وشعر الأزهريون جميعا بأنهم أبناء جامعة واحدة وأنهم تربطهم صلات أقوى من صلات الدم.. وعلى هذا النحو ساس فضيلته شئون الأزهر. وعمل على تقوية ما بينه وبين العالم الإسلامى من روابط فأوفد البعوث الإسلامية المختلفة إلى ربوع العالم الإسلامى تنتشر مبادىء الإسلام والثقافة الإسلامية وتقرب ما بين المسلمين وتعمل على إزالة الفرقة والخلاف بينهم.

وزيادة فى تقوية الروابط بين البلاد الإسلامية أرسل فضيلته بعثة إلى إنجلترا لدراسة اللغة الإنجليزية، لإرسال أعضائها إلى البلاد الإسلامية التى لا تجيد التخاطب باللغة العربية.

ولم يكتفى فضيلته بذلك بل عنى أيضا بربط الجامع الأزهر بجميع المعاهد الإسلامية فى بقاع الأرض، فاهتم بشئون التعليم فى الباكستان والهند والملايو وأندونسيا وأفريقيا الجنوبية.

وإلى جوار هذا وذاك عمل على التمكين لابناء المسلمين بطلب العلم فى الأزهر وفتح أبوابه للوافدين حتى بلغت البعوث الإسلامية فى عهده ما يزيد على ألفى طالب، خصصت لهم أماكن الدراسة والمسكن اللائق.

وأخذ يعمل على زيادة المعاهد الدينية فى عواصم المديريات، وقد افتتحت فى عهده أربعة معاهد نظامية كبيرة، هى معاهد المنصورة والمنيا وسمنود ومنوف.

وهكذا مضى فى سياسته الإصلاحية والتوسع فى رسالة الأزهر، وقد نال الأزهر بفضل جهوده وتقواه خيرا كثيرا، فأرتفعت ميزانيته إلى أكثر من مليون جنيه. ووضع مشروع كادر لتسوية أساتذة الكليات فى الأزهر بزملائهم الجامعيين.

وكان من رأيه رحمه الله جعل دراسة الدين مادة أساسية فى المدارس ليقى النشىء من الآراء الفاسدة، وما زال ينافح عن هذا الرأى حتى تحققت أمنيته وتقررت دراسة الدين مادة أساسية فى المدارس.

ومنذ شهور مرض مرضا ألزمه الفراش، ولكن ثقته بالله وشدة إيمانه حفزاه على مقاومة العلة، وتمكن الأطباء فى النهاية من القضاء عليها.

ورأى أن يستجم فى الإسماعيلية عند نجله الأستاذ عبد العزيز الشناوى فسافر إليها وكان ينعم بالصحة التامة، وزاره كثيرون من أصدقائه من كبار الأزهر هناك.

ولكن القدر المحتوم أبى إلا أن يوافيه فى الإسماعيلية فأصيب بنوبة قلبية حادة تمكن الأطباء من مقاومتها، ثم أصيب فى عقبها بالتهاب رئوى كان أيسر وأهون ما لقيه فى مرضه، ولكن استعصى دواؤه على الأطباء، وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها فلقى ربه راضيا مرضيا.

وقد شيعت جنازته يوم الثلاثاء ٥ سبتمبر ١٩٥٠ بما يليق بمكانته التى كانت له فى القلوب، وبأعماله الجليلة فى خدمة الإسلام والمسلمين. وصلى عليه فى الأزهر الشريف، وكبر المؤذنون فى شتى المساجد حينما صلى عليه، ثم وورى جسده الطاهر التراب.

(٧)

ولقد كان - رحمه الله وطيب ثراه - كريم الخلق نبيل النفس رائعا فى وقاره وهيبته وسمته وصلاحه وورعه وزهده، ذا شخصية قوية بارزة، وكان موضع المهابة من الجميع يجلونه ويحترمونه ويرجعون إليه يستفتونه، كان موثوقا بعلمه ورأيه، واسع الثقافة، كثير الاطلاع.

اشترك فى كل الأعمال التى كانت تبذل لإصلاح الأزهر وتنظيمه فى الربع الثانى من القرن العشرين.. وتقول جريدة المصور من مقال عنه بعد وفاته: كان رحمه

الله يتذوق الشعر وينظمه ويقدر الشعراء.. وقد ترك فى مكتبته الكبيرة ببيته بالحلمية الجديدة. مجموعة من دواوين الشعر وكتب الأدب، غير كتب الدين والتاريخ الإسلامى والبلاغة والفلسفة والأصول والحديث والفقه والتوحيد.

وخير الشعراء عنده شاعران : المتنبى وشوقى .. وقد عثرت بين أوراقه على بعض القصائد التى نظمها بنفسه أيام الشباب.

أمضى المرحوم الشيخ مأمون الشناوى حياته فى الدرس والاطلاع، وقد اعتاد منذ أيام الشباب أن يتلو بعض الأدعية قبل كل صلاة وبعدها وفى الطريق بين البيت ومقر العمل.. وكان يكتب بعضها ويضعها فى حافظته لتلازمه على الدوام وتصونه من المكاره.. وظل محافظا على ذلك لا يتهاون فيه إلى أن دعاه الله إليه.

ووجدت بين مخلفاته ورقة كتب فيها بخطه: "يد الله فوق أيديهم"، وورقة أخرى كتب فيها بخطه أيضا: "اللهم اهدنى من عندك، وأمنن على من فضلك، وانشر على من رحمتك، وأنزل على من بركاتك، اللهم استرنى بسترك الجميل، اللهم ارزقنى سعادة الدارين واكفنى همهما".

وكان بعد الصلاة يتلو دعاء طويلا هذه بدايته: "الله أكبر الله أكبر، بسم الله على نفسى ودينى، بسم الله على أهلى ومالى، بسم الله على كل شىء أعطانى ربى. بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه داء، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم..".

وقد ساهم رحمه الله فى الحركة الوطنية عند قيامها فى سنة ١٩١٩، فكان يلقى الخطب الحماسية فى المساجد والكنائس ويكتب المقالات فى الصحف، بل نظم المظاهرات. ومشى فى طليعتها، مع أنه كان وقتئذ قاضيا بمحكمة الإسكندرية الشرعية.

لكنه كان ينفر من الحزبية، ويرى أن رجل الدين لا ينبغى له أن يجمع الدين والسياسة.

حينما كان إماما فى السراى طلب إليه أحد رجال القصر أن ينضم إلى حزب الاتحاد فأبى، ثم ألح عليه فازداد إباء وقال له: "إننى أستطيع بسهولة أن أخرج من الباب الذى دخلت منه".

وفى اليوم التالى دعاه رئيس الديوان لمقابلته، وكان المرحوم توفيق نسيم، وأبلغه أن الملك فؤاد أحيط علما بما حدث، وأنه سر من موقفه، ولكنه يأخذ عليه قوله إنه يستطيع الخروج بسهولة من الباب الذى دخل منه.. لأن الدخول من هذا الباب لا يستأثر به فريق من المصريين دون فريق.

ولم يرث فضيلة الشيخ محمد مأمون الشناوى شيئا عن أبيه، وظل لا يملك إلا مرتبه، حتى رأى فى سنة ١٩٣٠ أن يستبدل بجزء من معاشه قطعة أرض زراعية هى كل ما كان يمتلك من حطام الدنيا.

وكان رحمه الله قوى الإيمان، كثير تحرى العدالة، يحب الهدوء والنظام، ويشتد فى الحق، ويسوس مرءوسيه باللين والعطف، ويقسو أحيانا للتأديب. وكانت داره فى الحلمية الجديدة محط أهل الفضل والعلم والأدب.. وقالت مجلة الأزهر فى تأبينه: "انتقل إلى الدار الآخرة فى اليوم الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٠ العالم الجليل الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر متأثرا بداء عضال ألم به نحو ثلاثة أشهر، فكان لنعيه أسف عميق لدى كل من عرفه وغشى مجلسه، لما كان عليه، رحمة الله، من محاسن الشيم، والتواضع، وحسن الإصغاء لذوى الحاجات".

وقد تلقى رحمه الله العلم فى الأزهر، ونال درجة العالمية فى سنة ١٩٠٦، وعين مدرسا فى معهد الإسكندرية، ثم تولى القضاء بالمحاكم الشرعية. وتقلب فى وظائفها واشتهر فيها بإيثار العدل والإنصاف. وفى سنة ١٩١٦ اختير ليكون إماما فى السراى فظل فى هذا المنصب نحو خمس سنين، وفى سنة ١٩٣١، حين وضع للتدريس بالأزهر نظام جديد، وقسمت الدراسة العالية فيه إلى ثلاثة فروع، وأنشئت لها كليات ثلاث : واحدة للشريعة وأخرى لأصول الدين، وثالثة للغة، اختير الشيخ رحمه الله شيخا لكلية الشريعة، فمكث يشغل منصبه فيها بكفاية محمودة، وعمل مشكور قرابة ثلاث عشرة سنة. وفى سنة ١٩٤٤ أسندت إليه وكالة الجامع الأزهر.

وكان المرحوم الشيخ مصطفى المراغى شيخا له. فلبث فى هذا المنصب حتى توفى الأستاذ المذكور. وترددت الحكومة فى تخير رجل كفء لشغل منصب المشيخة. فوقع الاختيار على المرحوم الأستاذ مصطفى عبد الرازق، فرأى أن قانون الأزهر يشترط فيمن يتولى هذه الوظيفة أن يكون من هيئة كبار العلماء، ولم يكن الأستاذ المذكور منها، فاستحسن أن ينقح هذا القانون حتى يتسع لتعيين من يصلح ممن لا ينطبق عليه شروطه من أجلاء العلماء، مادامت تتوافر فيه المؤهلات العلمية والأدبية. فلما عرض هذا الحل على المرحوم الشيخ محمد مأمون الشناوى أبى ورأى أن يستقيل من منصبه، وأن يتولى هذا الأمر غيره. فقبلت استقالته ومضت الحكومة فى إصلاح ذلك القانون، وعين المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر. فلما كانت سنة ١٩٤٨ وتوفى الأستاذ المذكور، أسندت الحكومة مشيخة الأزهر إلى الشيخ محمد مأمون الشناوى فى الشهر الأول من تلك السنة فلبث فيها إلى أن وافاه أجله فى الحين الذى ذكرناه آنفا. ومما يجب تسجيله للأستاذ المرحوم حالة الاستقرار الذى شمل جميع طلبة الكليات والمعاهد الأزهرية، وما قام به للأزهريين من مساواة خريجيهم بخريجى الجامعة المصرية فى المرتبات ومن عمله على تحقيق أمانيهم.

الإمام الشيخ إبراهيم حمروش

من كبار علماء الأزهر الشريف وشيوخه الأجلاء.

كان ميلاده فى قرية الخوالد أعمال إيتاى البارود - محافظة البحيرة- فى ربيع الأول من عام ١٢٩٧هـ - أول مارس عام ١٨٨٠.

وعاش أكثر من ثمانين عاما، حتى توفاه الله إلى رحمته فى السادس والعشرين من جمادى الأولى عام ١٣٨٠هـ - الخامس عشر من نوفمبر عام ١٩٦٠م.

تخرج من الأزهر بحصوله على العالمية عام ١٩٠٦م عمل فى القضاء الشرعى بعد تخرجه، ثم اختير مدرسا بالأزهر الشريف، فمدرسا بمدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٩، فقاضيا بالمحاكم الشرعية عام ١٩١٦ حتى عام ١٩٢٨، فشيخا لمعهد الزقازيق الدينى، فعميدا لكلية اللغة العربية بعد إنشائها، وذلك فى الثالث عشر من يونيو عام ١٩٣١ فعضوا فى جماعة كبار العلماء فى العاشر من يونيو ١٩٣٤ فعضوا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٣٤ فشيخا لكلية الشريعة الإسلامية فى ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٤٤.. ثم استقال من مشيخة كلية الشريعة فى ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٤٥ إثر الخلاف بين الأزهر والقصر الملكى الذى نشب حول جواز تعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخا للأزهر أو عدم جواز ذلك لأن الشيخ ليس عضوا فى جماعة كبار العلماء وكان جمهرة علماء الأزهر يؤيدون شيوخهم.

واختير رئيسا للجنة الفتوى فشيخا للأزهر فى ٣٠ من ذى القعدة عام ١٣٧٠ - الثانى من سبتمبر عام ١٩٥١.

وفى التاسع من فبراير ١٩٥٢ أقيل من منصبه، وعين مكانه الشيخ عبد المجيد سليم (المتوفى فى صفر ١٣٧٤هـ).

وظل الشيخ فى أعوامه الأخيرة كما كان قبلها ملاذ الأزهريين عامة، وظل بيته منتدى للعلماء، مفتوحا لأصحاب الحاجات.

توفى رحمه الله فى نوفمبر ١٩٦٠ وأبنه مجمع الخالدين، وبكته الصحف المصرية والإسلامية، ورثاه الشعراء والأدباء.. رحمه الله.

الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

١٨٩٣ - ١٩٦٣م

١٣٠٩ - ١٣٨١هـ

(١)

شيخ جليل من شيوخ الأزهر الخالدين. وفقيه من أئمة الفقهاء والعلماء المجتهدين، وصاحب مدرسة علمية من مدارس الأزهر الحديث فى الفقه والتشريع.

وكان رحمه الله ملء السمع والبصر، وكانت مكانته العلمية والدينية ملء العالم الإسلامى كله، وكان صوته خطيبا ومحاضرا ومتحدثا وداعيا إلى الله فى المساجد الكبرى، وبخاصة مسجد المنيل يملأ كل مكان. وتلاميذه كثيرون من شتى أقطار الدنيا يعتزون بأستاذيته والتلمذة عليه..

وأراؤه فى الإصلاح الدينى، وفى إصلاح الأزهر، وفى كل مشكلات المجتمع الإسلامى عامة، والمجتمع المصرى خاصة، كانت موضع تقدير الباحثين والمفكرين.

وكانت حلقاته العلمية فى كلية الشريعة الإسلامية، وفى دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وفى دار الحكمة، ومقالاته فى مختلف الصحف والمجلات المصرية والعربية والإسلامية، وأحاديث الصباح التى كان ينقلها له المذياع إلى ملايين المسلمين. كان ذلك كله مهوى أفئدة الناس ومشاعرهم وحبهم وتقديرهم..

تأثر بفكر الإمام محمد عبده وبمنهجه فى الدعوة إلى الإصلاح الدينى وإصلاح الأزهر الشريف.

وفى مارس م عام ١٩٤٢ ألقى شلتوت فى قاعة المحاضرات بكلية الشريعة محاضرة عن السياسة التوجيهية العلمية فى الأزهر. حضرها كبار الشيوخ والأساتذة والطلاب..

ولما لم يتسع الوقت لمناقشتها أعددت محاضرة فألقيتها فى القاعة نفسها فى الأسبوع التالى فى جمع من الأساتذة والطلاب. أعلنت فيها أن العودة إلى فكر

محمد عبده فى الإصلاح أجدى على الأزهر من أية مناهج جديدة. ودعانى الشيخ أثر ذلك إلى لقاء معه فى داره، شرح لى فيه أهدافه من الإصلاح الذى يدعو إليه، وبواعثه فى نفسه، وأثره فى مستقبل الأزهر العلمى، وأشار بألم شديد إلى تعثر الخطى التى يسير بها هذا الإصلاح..

وكان الشيخ رحمه الله حركة دائبة، فى سبيل إعداد الرأى العام لتقبل كل فكر إصلاحى جديد..

(٢)

وترك الشيخ وراءه ستة وعشرين مؤلفا، ما بين كتاب ورسالة، يتجلى فيها جميعها شخصيته العلمية، وتمكنه من كل ما يعرض له من بحوث، واجتهاده فى استنباط الأحكام الفقهية، ومن بين هذه المؤلفات:

١. كتاب الفتاوى، وهو دراسات لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة.. ويحتوى الكتاب على مجموعة من الأحكام والفتاوى أجاب بها على أسئلة السائلين فى موضوعات مختلفة، ولم يلتزم فيها مذهبا خاصا، ولم يتقيد فيها برأى بعينه.
٢. الإسلام عقيدة وشريعة.
٣. تفسير القرآن الكريم، وقد طبعت منه الأجزاء العشرة الأولى، وكان يلقيه محاضرات كل يوم خميس بدار الحكمة، وينشرها تباعا فى مجلة التقريب بين المذاهب.
٤. توجيهات الإسلام.
٥. منهج القرآن فى بناء المجتمع، وقد طبعته دار الكتاب العربى فى القاهرة.
٦. المسئولية المدنية والجنائية فى الشريعة الإسلامية، وهو رسالة تقوم على بحث ألقاه فى مؤتمر لاهاى عام ١٩٣٧.
٧. القرآن والمرأة.
٨. القرآن والقتال.

٩. هذا هو الإسلام.

١٠. تنظيم العلاقات الدولية فى الإسلام.

١١. عنصر الخلود فى الإسلام.

١٢. الإسلام والتكافل الاجتماعى.

١٣. رسالة الأزهر، وهذا الكتاب يضم محاضرة القاها فى مركز الملحقين الثقافيين عام ١٩٥٨م[1].

وقد زار الشيخ الكثير من الدول العربية والإسلامية، واستقبله الكثير من ملوك وحكام العالم الإسلامى.

(٣)

ولد - رحمه الله- فى بلدته منية بنى منصور من أعماق مركز إيتاى البارود من مديرية البحيرة من أسرة كريمة..

ودخل كتاب القرية، فتعلم فيه القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وهو فى الثانية عشر من عمره، وفى عام ١٩٠٦ التحق بالمعهد الدينى فى الإسكندرية. وصار موضع تقدير شيوخه، وعرف بالذكاء البارع. وبالجد وسعة الاطلاع وكثرة القراءة وقوة الشخصية..

ونال شهادة العالمية عام ١٩١٨، وكان أول الناجحين .. وبعد عام عين مدرسا فى المعهد نفسه، فكان مثلا للعالم الأزهرى ذى المنزلة الكبيرة وسط جماهير الشعب.

وفى عام ١٩٢٧ نقل إلى الجامع الأزهر مدرسا فى القسم العالى فيه. ومنذ ذلك الحين وهو يتصدر صفوف العلماء فى المطالبة بالإصلاح، ومن أجل ذلك فصل من عمله هو ولفيف كبير من العلماء المطالبين مثله بالإصلاح، وذلك عام ١٩٣١.

---

[1] راجع: على عبد الرازق، مقالة له عن الشيخ (١٤٠٧ - ٩/١٥٣) مجلة مجمع الغة العربيــة - د. محمد مهدى علام ١٥٧-١٩/١٦٢ المصدر نفسه.

فعمل بالمحاماة الشرعية طيلة أربع سنوات حتى إذا أسندت مشيخة الازهر الى الشيخ محمد مصطفى المراغى عام ١٩٣٥ أعيد الشيخ شلتوت إلى عمله.

وفى عام ١٩٤٦ اختير عضوا فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة.

وفى عام ١٩٥٠ عين مراقبا للثقافة والبحوث الإسلامية فى الأزهر، فوضع أسس العلاقات الثقافية بين الأزهر ومختلف الجامعات والمراكز الإسلامية فى الشرق والغرب.

وفى عام ١٩٥٧ اختير وكيلا للأزهر، ثم شيخا له بعد ذلك بعام، فكان لذلك صداه فى أنحاء العالم الإسلامى، وفى مشيخته صدر القانون رقم ١٠٣ لعام ١٩٦١ بتطوير الأزهر وإصلاحه، وهو القانون الذى قامت على أساسه جامعة الأزهر بكلياتها القديمة والجديدة، التى تبلغ اليوم خمسا وأربعين كلية..

وقد انهكه المرض فى آخر حياته فتوفاه الله إلى رحمته عام ١٩٦٣.

(٤)

دعا - رحمه الله - إلى توحيد كلمة المسلمين، حيث نادى باجتماع علماء المسلمين وقادتهم للعمل معا من أجل الوحدة الإسلامية بإنشاء جمعية أمم إسلامية وتأسيس منظمة إسلامية اقتصادية وحضارية، وتكوين قوة حربية عليا[1]..

وكان يرى أن مهمة الأزهر ليست تخريج مدرسين ومعلمين فحسب، وإنما تنظم أول ما تنظم أمرين، هما أهم ما يجب أن يناط بالأزهر. بل هما أساس رسالته والعنصر الذى يحقق وجوده:

وأولهما هو تخرج علماء مبرزين وذوى مواهب عالية فى البحث والاجتهاد السليم والتجديد المفيد، ومن هؤلاء يكون الأئمة الذين يرجع إليهم فى معرفة أصول الشريعة وفروعها.

وثانى المهمتين: تخريج دعاة مرشدين أقوياء فى العلم والإدراك والتدين.

---

[1] ١٦١ منهج القرآن فى بناء المجتمع - محمود شلتوت .. طبع دار الكتاب العربى - القاهرة.

وقد ظل طيلة حياته مناضلا من أجل أفكاره فى الإصلاح الدينى وآرائه فى إصلاح الأزهر.

ومات والأمة الإسلامية أشد ما تكون حاجة إلى علمه وفكره وغيرته على الإسلام والمسلمين[2]..

---

[2] راجع: المجمعيون فى خمسين عاما - د. محمد مهدى علام. ص٣٤٠ - ط١٩٨٦م.

الشيخ عبد الحليم محمود

شيخ جليل، وعالم كبير، من أشهر علماء الأزهر فى العصر الحديث.

ميلاده عام ١٩١٠ فى أبو حمد شرقية حصل على العالمية عام ١٩٣٢، وعلى الدكتوراه عام ١٩٤٠ من السوربون.

عمل مدرسا فى تخصص التدريس بكلية اللغة العربية بعد عودته من باريس. ثم نقل مدرسا بكلية أصول الدين عام ١٩٥١، فعميدا لها عام ١٩٦١، فأمينا عاما لمجمع البحوث الإسلامية، فوكيلا للأزهر عام ١٩٧٠، وفى رحلة إلى أمريكا لقى كارتر رئيس أمريكا، وفالدهايم سكيرتير الأمم المتحدة.

وعين وزير أوقاف عام ١٩٧١.

ثم شيخا للأزهر عام ١٩٧٣.

وتوفى إلى رحمة الله فى ١٥ من ذى القعدة عام ١٣٩٨هـ - السابع عشر من اكتوبر عام ١٩٧٨م، وله مؤلفات عديدة منها:

- الفلسفة اليونانية - مترجم.
- محمد رسول الله - مترجم.
- الفيلسوف المسلم.
- التصوف عند ابن سينا.
- المدرسة الشاذلية الحديثة.
- الإسراء والمعراج.
- القرآن فى شهر القرآن.
- الإسلام والشرعية.
- دلائل النبوة ومعجزات الرسول.
- الحارث بن أسد المحاسبى بالفرنسية وهو رسالته للدكتوراه.
- فلسفة ابن طفيل ورسالته.

- أوربا والإسلام.
- التوحيدد الخالص.
- التصوف الإسلامى.
- الإسلام و الإيمان.
- التفكير الفلسفى فى الإسلام.
- الرسول ﷺ.

وغيرها.

والدكتور عبد الحليم محمود من مولده فى مايو ١٩١٠ فى قريته أبو أحمد - قرية السلام - إلى حفظه للقرآن فى كتاب القرية. إلى التحاقه بالأزهر عام ١٩٢٣. ثم بمعهد الزقازيق عام ١٩٢٥ بعد افتتاحه، إلى حصوله على الثانوية الأزهرية من الخارج عام ١٩٢٨ إلى حصوله على العالمية ١٩٣٢، إلى فوزه بالدكتوراه من السوربون عام ١٩٤٠ يمثل العبقرية بأجلى معانيها.

وفى مسيرته من مدرس لعلم النفس فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤١، إلى مدرس للفلسفة بكلية أصول الدين عام ١٩٥١، إلى توليه منصب العمادة فى الكلية عام ١٩٦١، إلى رقيه لمنصب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عام ١٩٦٩. وإلى منصب وكيل الأزهر عام ١٩٧٠،وماثلا ذلك من مناصب شغلها يمثل رجل الدين العظيم الذى يحرص على أداء رسالته فى كل موضع وكل مكان.

الشيخ نافع الجوهرى الخفاجى[1]

١٢٥٠-١٣٣٠هـ

١٨٣٤ - ١٩١٢م

عالم كبير وأديب بليغ، وكاتب وشاعر ومؤلف موهوب، أرخ لنفسه فى كتابه "الخفاجة التلبانية أو الخفاجية" التى لا تزال مخطوطة.

حفظ القرآن فى بلدته تلبانة وحفظ المتون، والتحق بالأزهر أواخر عام ١٢٧١هـ.

وأجازه شيوخه إجازات علمية، ومن بينهم:

- **الشيخ الرهابينى.**
- **الشيخ الرافعى.**
- **الشيخ إبراهيم الباجورى.**
- **شيخ الأزهر آنذاك الشيخ المهدى العباسى وقد زهد فى الوظائف وعاش فى إقليمه عالما ومرشدا ومفتيا وقاضيا.**

وترك مؤلفات كثيرة تزيد على المائة، وديوان شعر كبير، ومن مؤلفاته المخطوطة:

١. **المقامةالتلبانية أو الخفاجية.**
٢. **رسالة فى الهجاء.**
٣. **كتاب جواهر الكلم فى منظوم الأمثال والحكم.**
٤. **ديوان شعر.**
٥. **مواعظ شعرية.**

---

[1] راجع ترجمة: بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى – الجزء الخامس – الخفاجيون فى التاريخ – قصة الأدب فى مصر الجزء الرابع ص٢٧ – الإعلام للزركلى – مجلة معهد المخطوطات العربية عام ١٩٧٦، وغير ذلك مثل قصة الأدب المعاصر للخفاجى.

وهو جدى لأمى، وقد نذرتنى أمى للازهر لاكون عالما مثل والدها.. وكان ما كان.

رحمه الله رحمة سابغة، وأجزل مثوبته فى الدنيا والآخرة.

وفى كتابه الإسراء والمعراج جاء فى ترجمته أنه:

هو العالم العلامة، نافع بن الجوهرى بن سليمان بن حسن بن مصطفى ابن أحمد، الخفاجى التلبانى، من بنى خفاجة الأشراف.

ولد نحو عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م، فى قرية تلبانة من أعمال الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم، ونال العالمية من الأزهر الشريف عام ١٢٨٣هـ، وكان من شيوخه جلة العلماء والزاهدين.

واقام ببلدته، واعظا زاهدا، ومفتيا مرشدا، ومؤلفا واسع الشهرة بين أقرانه. حتى بلغت مؤلفاته إلى ما قبيل وفاته مائة مؤلف، أغلبها فى الشريعة والدين والفقه والمواعظ والتصوف وعلوم العربية والأدب، وكان شاعرا مجيدا، وبليغا مفوها، وأديبا لا يشق غباره.

وتوفى عام ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، رحمه الله رحمة سابغة، وأكرم مثواه.

الشيخ نافع محمد الخفاجى (الحفيد)[1]

١٩٠٤ - ١٩٤٠

هو نافع الخفاجى الحفيد، حفيد الشيخ نافع الكبير المتوفى فى عام ١٩١٢م.

وكان شاعرا بليغا، وأديبا مطبوعا، درس فى المعهد الأحمدى بطنطا سنة ١٩١٩، ونال منه الابتدائية عام ١٩٢٣، وأخذ الثانوية من الخارج من معهد الزقازيق الدينى عام ١٩٢٨ - ١٣٤٦هـ، والتحق بالقسم العالى بالأزهر ونال منه شهادة العالمية فى يونيو ١٩٣٢م - ١٣٥١هـ.

وأقام فى البلدة "تلبانة" عاكفا على الشعر والأدب حتى وافاه أجله بعد مرض طويل فى يوم الثلاثاء التاسع من رجب عام ١٣٥٩هـ. الثالث عشر من أغسطس عام ١٩٤٠.

وكان شاعرا بليغا، فى منزلة رفيعة من البلاغة والطبع والشاعرية رحمه الله.

---

(١) راجع ترجمته فى كتابى قصة الأدب فى مصر - وقصة الأدب المعاصر الجزء الثالث ص ١١١ وما بعدها.

الشيخ مخلوف

ينصح الحكام بالعدل فى الرعية

تاريخ مضىء للشيخ الكبير خالد حسنين محمد مخلوف. الذى لقى ربه فى العشرين من رمضان ١٤١٠هـ - الخامس عشر من أبريل عام ١٩٩٠، عن مائة عام قضاها فى خدمة الدين والعلم والثقافة الإسلامية والفقه الإسلامى، مجددا ومصلحا ومرشدا وداعية إلى الله.

ينتمى الشيخ إلى أسرة علمية عريقة من بنى عدى، (محافظة أسيوط)المشهورة بعلمائها الكبار الأعلام ممن كان لهم دور كبير فى تاريخ مصر والأزهر، ومن بينهم الإمام الدردير الذى قاد عام ١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م ثورة الأزهر الوطنية الكبرى التى أعلنت ميثاقا بحقوق الإنسان، قبل إعلان الثورة الفرنسية بسنوات، ومنهم الشيخ حسن العدوى أحد الزعماء الدينيين للثورة العرابية، والشيخ صالح شرف وكيل الأزهر السابق وعضو جماعة كبار العلماء وغيرهم.

وجد الشيخ هو الشيخ حسنين مخلوف من علماء الأزهر المرشدين الصالحين، ووالده هو الشيخ محمد حسنين مخلوف مدير إدارة المعاهد الدينية ووكيل الأزهر الشريف (١٨٦٠ - ١٩٣٦م).

وقد ولد المفتى الشيخ حسنين فى وسط هذه الأسرة العلمية المشهود لها بالفضل، وحفظ القرآن وهو فى العاشرة من عمره، والتحق بالأزهر طالبا، ونال شهادة العالمية عام ١٩١٤، وعين مدرسا بالأزهر ثم صدر عام ١٩١٦ قرار بتعينه قاضيا شرعيا فى قنا وصعد فى وظائف القضاء حتى عين مفتشا عام ١٩٤٥ وبعد أربع سنوات استقال من وظيفته، ثم عاد إليها عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٤، وأحيل إلى المعاش فقضى بقية حياته الحافلة خالصة للعلم والفتيا والإرشاد والكتابة والتأليف، إلى ما أداه من أعمال كثيرة فى جماعة كبار العلماء، وفى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

الشريف، وكان عضوا بارزا فيها وقد حصل على جائزة فيصل عام ١٩٨٢، وعلى الجائزة التقديرية عام ١٩٨٣م.

وللشيخ مؤلفات من بينها:

- الفتاوى فى جزئين.

- صفوة البيان فى تفسير القرآن.

والعديد من المؤلفات الإسلامية النافعة، وله مقالات فى مختلف الصحف والمجلات الإسلامية المصرية والعربية، وأصدر طيلة حياته ما يقرب من خمس عشرة ألف فتوى.

دعاه الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٥١ إلى الرياض فنزل فى ضيافته شهرا يلقاه فيه كل يوم ويحدثه فى أمور الدين وأحوال المسلمين ويعظه وينصحه بالعدل فى الرعية.

ودعاه الملك إدريس السنوسى لزيارة ليبيا واحتفى به الملك أيما احتفاء، وألقى عديدا من الدروس الدينية والمحاضرات الإسلامية، ودعاه الملك محمد الخامس ثم الملك الحسن الثانى ليشارك فى الأحاديث الرماضنية فى الرباط بعلمه وفقهه، وكان الملك فاروق يطلب إليه أن يلقى دروسه الدينية فى جامع الفتح الملحق بقصر عابدين، وألقى بحضرته دروسا رمضانية فى جامع ابن طولون عدة سنين.

وكان لا يتوانى عن إسداء النصح لحكام المسلمين يرسل إليهم واعظا وناصحا ومذكرا بأحكام الله وشريعته.

عارض القوانين الاشتراكية وأبان رأى الإسلام فيْها وأرسل إلى بورقيبة ناصحا ومستنكرا ما يصدر فى تونس من قوانين مخالفة للشريعة.

وحارب البدع والخرافات، كما حارب الشيوعية والعلمانية والإسماعلية والقاديانية والبهائية وأفتى بخروجهم عن الإسلام، وأفتى ببطلان احتفال (المحمل الشريف) الذى كان يقام كل عام، وغير ذلك من مآثره الكثيرة، وكتب فى شتى المناسبات إلى المسئولين عن القرار السياسى يذكر بحكم الله والدين.

وفى الذكرى السادسة لوفاته نظمت محافظة اسيوط والهيئة العامة لقصور الثقافة فى اليوم التاسع من أكتوبر ١٩٩٦ احتفالا كبيرا يليق بمكانة الشيخ وعلمه وفضله.

ففى صباح الأربعاء أقيم حفل كبير حضره الآلاف من العلماء وذلك فى قاعة المؤتمرات الكبرى فى عاصمة المحافظة تحدث فيه شيخ الأزهر والدكتور رجائى الطحلاوى المحافظ والدكتور حسين مهران، والدكتور السفير عبد الهادى مخلوف والدكتور طه أبو كريشة نائبا عن رئيس جامعة الأزهر والأستاذ صلاح شريت والأستاذ لمعى المطيعى.

وفى مساء اليوم نفسه أقيم فى بنى عدى حفل كبير بمناسبة هذه الذكرى تحدث فيه الدكتور المحافظ والدكتور صلاح شريت نائبا عن رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، والدكتور طه أبو كريشة والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى والشاعر الكبير عبد الحميد فارس والدكتور محمد المصرى والدكتور محمد بدر معبدى وبعض رجال الدين المسيحى.

كذلك احتفلت جامعة الأزهر فى أسيوط التى كان للشيخ ضلع كبير فى إنشائها بذكرى الشيخ فى صباح الخميس العاشر من أكتوبر، احتفالا كبيرا تحدث فيه الدكتور جميل أبو العلا رئيس جامعة الأزهر فرع أسيوط والدكتور عميد كلية أصول الدين والدكتور خفاجى والدكتور أبوالوفا عبد الآخر والدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة والأستاذ لمعى المطيعى وغيرهم، وفى الوقت نفسه أقيم حفل مماثل فى المعهد الدينى الثانوى الأزهرى تحدث فيه عميد المعهد وبعض أساتذته والدكتور محمد نايل عضو المجمع اللغوى والأستاذ المتفرغ بجامعة الأزهر والدكتور عبد الهادى مخلوف والشاعر الكبير عبد الحميد فارس.

رحم الله الشيخ وأجزل مثوبته كفاء ما قدم للعلم والدين والتراث الإسلامى فى جليل الخدمات.

الشيخ أحمد حسن الباقورى

مفكرا إسلاميا

فى ضحى العيد الأكبر، وفى مستشفى ولنجتون بلندن استأثرت رحمة الله عز وجل بالمفكر الإسلامى الكبير، الشيخ أحمد حسن الباقورى.

نشأ فى أسرة عريقة صالحة وإن كانت فقيرة، وحفظ كتاب الله، والتحق بمعهد أسيوط الدينى، ثم بالقسم العالى فى الأزهر الشريف، حيث حصل على العالمية عام ١٩٣٣، ثم نال شهادة التخصص فى البلاغة والأدب من كلية اللغة العربية عام ١٩٣٦، برسالته عن "أثر القرآن فى اللغة العربية" التى صدرت عن دار المعارف فى القاهرة.

كان من أبلغ خطباء العصر منذ كان طالبا فى الأزهر الشريف، ولم يلبث أن صار زعيم طلاب الأزهر ورئيس اتحادهم فى حركات النضال الوطنى عام ١٩٣٥، وقبل ذلك بعام قاد طلاب الأزهر فى ثورة عارمة ضد تدخل القصر والإنجليز فى شئون الأزهر والمناداة بالشيخ محمد مصطفى المراغى شيخا للأزهر، فكان تعينه فى هذا المنصب نتيجة انتخاب شعبى حر، واستفتاء لم تصنعه أيدى السياسة.

وصار الشيخ أحمد حسن الباقورى مدرسا فى الأزهر، ثم اختير مفتشا فيه، فوكيلا لمعهد أسيوط الدينى عام ١٩٤٦ فشيخا لمعهد المنيا .. ولا ننسى اعتقال الإنجليز له عام ١٩٤٢ أثناء الحرب العالمية الثانية مع صفوة من المجاهدين الوطنيين الأحرار، ومن قبل اعتقل عام ١٩٣٤ أثناء ثورة الأزهر ضد القصر.

واختار الباقورى منبر الأخوان المسلمين ميدانا لنضاله الوطنى، ولم يلبث أن قامت الثورة، فباركتها الأمة وفى مقدمة صفوفها الباقورى، ثم اختير وزيرا للأوقاف فى السابع من سبتمبر عام ١٩٥٢، واختير عضوا فى مجلس الأمة عام ١٩٥٧، ثم وزيرا مركزيا للأوقاف عام ١٩٥٨، وفى فبراير ١٩٥٩ خرج من الوزارة.. وبعد ذلك بخمس سنوات اختير مديرا لجامعة الأزهر، وذلك فى الرابع عشر من يوليو عام ١٩٦٤، وفى ١٦ سبتمبر ١٩٦٩ ترك هذا المنصب ليعين مستشارا فى رياسة الجمهورية فى قصر

القبة، ثم رئيسا لجمعية الدراسات الإسلامية، ومديرا لمعهد الدراسات الإسلامية. ورئيسا عاما لجمعيات الشبان المسلمين العالمية، فعضوا فى المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية، والمجلس الأعلى للفنون والآداب، واختير عضوا فى مجمع اللغة العربية. وعضوا فى مجلس الشورى وفى كثير من المجالس والهيئات الدينية والعربية، ومن بينها المجلس الأعلى للصحافة الذى اختير عضوا فيه فى ١٣ مايو ١٩٧٥.

أحمد حسن الباقورى أديبا

مات العالم الأديب الكبير الذى امتاز بامتلاكه لناصية الجماهير وتأثيره فى عقول الشعب وقلوبهم معا؟ إذا خطب أو تحدث، أو حاضر أو حاور.

مات الباقورى العالم الجليل، والشيخ الباقورى، والخطيب المصقع المفوه، وسحبان البلاغة والبيان إذا تكلم، والأزهرى النابغة، والمناضل الوطنى الحر، ورجل الإسلام الذى عاش عصره وواكب أحداث الدنيا من حوله وعرفه الناس من كل مكان من أبناء مصر الإسلامية وأبناء الأزهر العريق الخالد.

وفى مستشفى ولنجتون بلندن، عن ستة وسبعين عاما، لقى الباقورى أجله بعد صراع طويل مع المرض، وعاد جثمانه إلى وطنه مصر محاطا بالاجلال والحزن العميق من قلوب المسلمين فى كل مكان.

لقد ناقشنا منذ شهر فى أروقة جامعة الأزهر رسالة ماجستير باشرافى عن (الباقورى) أديبا واتصل بى الباقورى تليفونيا يبلغنى أسفه لحرمانه من حضور حلقة مناقشة الرسالة والاستماع إلى حوار لجنة الحكم المؤلفة من الدكتورين الأستاذ مصطفى يونس وعبد السلام عبد الحفيظ، مع صاحب الرسالة الباحث محمد محمد أبو جبل، وتمنيت له يومئذ الصحة والعافية والشفاء، لتستمر مسيرته الطيبة من أجل حاضر المسلمين ومستقبل الإسلام، فأناب عنه الأستاذ الجليل حسن مسلم فى حضور مناقشة الرسالة، والاستماع إلى اللجنة لتكون آراؤها ضوءا جديدا أمامه فى مقبل أيامه.

ولد الباقورى فى ٢٦ مايو ١٩٠٩ بباقور من قرى محافظة أسيوط من أسرة عريقة وإن كانت فقيرة، وحفظ القرآن الكريم، والتحق بمعهد أسيوط الدينى، ثم بالقسم العالى فى الأزهر، وصار رئيس اتحادهم والناطق باسمهم فى كل مكان، وشارك أبناء وطنه كفاحهم ضد القصر والاحتلال، وتولى عرض مطالب الأزهر بأسره طلابه وعلمائه ضد تدخل الإنجليز والملك فؤاد فى شئونه، وحصل على شهادة التخصص فى البلاغة والأدب عام ١٩٣٦، وناقش رسالته آنذاك لجنة من كبار العلماء،

من بينهم الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر. والشيخ إبراهيم الجبالى شيخ كلية أصول الدين آنذاك، وصار مدرسا فى الأزهر، فوكيلا لمعهد أسيوط عام ١٩٤٦. ثم شيخا لمعهد المنيا الدينى .. إلى نضاله فى صفوف الإخوان من أجل الحرية والخلاص من سيطرة الملك والإنجليز، وقامت الثورة. ولم يلبث أن اختير وزيرا للأوقاف فى السابع من سبتمبر ١٩٥٢، وفى فبراير ١٩٥٩ استقال من الوزارة، وفى ١٤ من يوليو عام ١٩٦٤ إلى ١٦ سبتمبر ١٩٦٩ شغل منصب مدير جامعة الأزهر، واختير رئيسا لجمعية الشبان المسلمين، ثم مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية. وعضوا فى مجمع اللغة العربية، وعضوا فى المجلس الأعلى للصحافة فى ١٣ مايو ١٩٧٥ وعضوا فى مجمع البحوث الإسلامية وفى مجلس الشورى وكانت أحاديثه الإسلامية فى مختلف وسائل الإعلام موضع اهتمام الجماهير والتفافهم، وفى ضحى عيد الأضحى الكريم (١٠ من ذى الحجة ١٤٠٥هـ - ٢٦ من أغسطس ١٩٨٥) فاضت روحه فى المستشفى فى لندن.

وقد ترك تراثا علميا كبيرا، من بينه مؤلفاته: عروبة ودين - دروس وكلمات - خواطر وأحاديث - أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية وهو الرسالة التى تقدم بها إلى الأزهر للحصول على شهادة التخصص - مع القرآن - معالم الشريعة - مع الصائمين - فى عالم الصيد - لله ثم للتاريخ - صفوة السيرة المحمدية - العودة إلى الإيمان - مع القرآن حول جزء تبارك - تحت راية القرآن - قطوف من أدب النبوة - الأسرة فى الإسلام - الأزهر والإسلام - الدين والتدين - القرآن ينبوع التراث الإسلامى - قطوف من أدب القرآن - مجالى الشمائل المحمدية - كلمات ذات تاريخ - وآخر مؤلفاته هو: على إمام الأئمة - ثم فى عالم الروح.

إلى مختلف أحاديثه الصحفية والإذاعية. وإلى فكره الإسلامى المضىء وإلى تلاميذه الكثيرين، وإلى توجيهاته الدينية العميقة.. وإلى مكانته فى قلوب المصريين والمسلمين فى كل مكان.. رحمه الله.

الشيخ محمد على النجار

-١-

عالم جليل، ومحقق لغوى من الجيل الأول.

تتلمذنا عليه فى كلية اللغة العربية حيث كان يدرس لنا فقه اللغة العربية، وكان أخوه الدكتور عبد الحليم النجار أستاذا كذلك فى الكلية، ثم انتقل إلى كلية الآداب أستاذا فعميدا وهو مترجم كتاب تاريخ الأدب العربى لبر وكلمان من الألمانية إلى العربية والذى ظهر منه فى حياته عدة أجزاء.

-٢-

أما الشيخ محمد على النجار فتحقيقه لكتاب الخصائص لابن جنى ينم عن علمه الغزير، واطلاعه الواسع، وتعمقه الكبير فى علوم اللغة العربية.

وكان حجة فى مسائل الفروع والأصول، والأشباه والنظائر.

ولد رحمه الله فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥م بالحرمل من أعمال إيتاى البارود - البحيرة ونال الشهادة العالمية من الأزهر ثم شهادة تخصص المادة (الدكتوراه) فى أوائل العشرينات،وكان والده من أبرز علماء الأزهر وعضوا بهيئة كبار العلماء.

وقد عمل الشيخ محمد على النجار رحمه الله فى أول حياته مدرسا بالمعاهد الأزهرية إلى أن أنشئت الكليات الأزهرية فالتحق أستاذا بكلية اللغة العربية عام ١٩٣٧م وكانت له بحوثه المتميزة فى اللغة وخاصة النحو والصرف، وجذبت بحوثه اهتمام المشتغلين باللغة فى مصر والعالم العربى كله حتى اعتبر واحد من قلة قليلة ملكت ناصية اللغة العربية، ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٥٥ حيث شارك مشاركة فعالة فى إصدار المعجم الوسيط وعمل فى لجنة المعجم الكبير حتى وفاته عام ١٩٦٥، وتوفى رحمه الله تعالى فى الثانى من ديسمبر عام ١٩٦٥ عن سبعين عاما- رحمه الله.

الدكتور محمد السعدى فرهود

تولى الدكتور محمد السعدى فرهود رياسة جامعة الأزهر فى أول سبتمبر ١٩٨٣ بعد الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار، فكان بذلك سابع رئيس لجامعة الأزهر خلال ربع قرن من الزمان (١٩٦١ - ١٩٨٦)

١. الدكتور الأستاذ محمد البهى، رحمه الله.
٢. الشيخ أحمد حسن الباقورى، رحمه الله.
٣. الدكتور الأستاذ بدوى عبد اللطيف.
٤. الشيخ محمد حسن فايد.
٥. الدكتور الأستاذ عوض الله حجازى.
٦. الدكتور الأستاذ الشيخ محمد الطيب النجار.
٧. الدكتور الأستاذ الشيخ محمد السعدى فرهود.

وقد ولد بمدينة الزرقا بمحافظة دمياط فى أول يناير سنة ١٩٢٣ وحصل على الابتدائية الأزهرية من معهد دمياط سنة ١٩٣٩ وعلى الثانوية من معهد الزقازيق الأزهرى سنة ١٩٤٤ وتخرج فى كلية اللغة العربية سنة ١٩٤٨ وحصل على دبلوم معهد التربية العالى للمعلمين سنة ١٩٥٠ ودبلوم الدراسات العليا للمعلمين سنة ١٩٥٤ ودورة الصحافة المدرسية سنة ١٩٥٦م، والماجستير بتقدير ممتاز فى الدراسات الأدبية سنة ١٩٥٨ والدكتوراه فى الأدب العربى الحديث سنة ١٩٦٧ بمرتبة الشرف الأولى.

وبدأ وظيفته مدرسا بمدرسة سوهاج الثانوية سنة ١٩٥٠ ثم اختير للتدريس بالمدارس النموذجية سنة ١٩٥٤ وهو أول مدرس للغة العربية بالمدرسة الثانوية النموذجية للمتفوقين سنتى ١٩٥٦، ١٩٥٧.

وشغل عدة وظائف أخرى منذ سنة ١٩٥٧ منها:-

١. عضو فنى وباحث بإدارة البحوث الفنية والمشروعات بوزارة التربية والتعليم (١٩٥٧).

٢. عضو فنى ووكيل إدارة قسم آسيا بالسكرتارية الفنية للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التعليم العالى (١٩٥٩).
٣. مدير مساعد المركز الثقافى العربى بالرباط بالمملكة المغربية (١٩٦٠).
٤. مدير إدارة الخطة بوزارة العلاقات الثقافية الخارجية (١٩٦٤).
٥. مستشار بوزارة الإرشاد القومى (١٩٦٦).
٦. عضو مكتب وزير الدولة لشئون الأزهر (١٩٦٦).
٧. وانضم إلى هيئة التدريس فى قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٨ ثم رقى أستاذا للأدب والنقد فى التاسع من مارس سنة ١٩٧٧م.
٨. واختير وكيلا لكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٧٣ ووكيلا فعميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة سنة ١٩٧٦ حيث شارك فى إنشائهما ووضع أسس العمل بالكليات الإقليمية الناهضة بجامعة الأزهر.
٩. انتدب فى سبتمبر سنة ١٩٧٩ وكيلا لجامعة الأزهر للدراسات العليا والبحوث وفى أغسطس سنة ١٩٨٠ عين نائبا لرئيس الجامعة لشئون الدراسة والتعليم والطلاب.
١٠. عين وكيلا للأزهر - بدرجة وزير - فى ١٩٨١/٢/١٦م. وهو أول وكيل للأزهر يعين بهذه الدرجة.
١١. عين رئيسا لجامعة الأزهر فى أول سبتمبر ١٩٨٣.

نشاطه:

- عضو المجلس الأعلى للجامعات بمصر.
- نائب رئيس رابطة الجامعات الإسلامية.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية.
- عضو المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى.
- عضو مجلس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.
- عضو المجلس القومى للثقافة والآداب والفنون.

- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- عضو مجلس اتحاد الإذاعة والتلفزيون بمصر.
- رئيس مجلس إدارة المركز الدولى للبحوث السكانية بجامعة الأزهر.
- رئيس اللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتلفزيون.
- رئيس مجلس إدارة مركز صالح عبد الله كامل للدراسات والبحوث الاقتصادية بجامعة الأزهر.
- اشرف على أكثر من ٦٠ رسالة ماجستير ودكتوراه وناقش أكثر من مائة وخمسين رسالة جامعية فى الدراسات الأدبية والدينية والتربوية.
- أستاذ غير متفرغ بكلية اللغة العربية بالمنصورة للإشراف على الدراسات العليا بها منذ تعيينه وكيلا للأزهر.
- مقرر اللجنة العلمية الدائمة للترقية إلى وظائف الأساتذة بجامعة الأزهر.
- بدأ منذ أول يناير سنة ١٩٨٣ تفسير القرآن الكريم فى برنامج يومى بإذاعة القرآن الكريم من القاهرة تحت عنوان (على عامش التلاوة) والبرنامج مستمر.

مؤلفاته:

له عدة مؤلفات فى الدراسات الإسلامية والأدبية منها:-

- **فى البيان القرآنى:** تفسير سورة الرعد، وتفسير سورة إبراهيم.
- **فى الحديث النبوى:** التعريف بالحديث الشريف، وفى رحاب الهدى النبوى. والهدية السعدية شرح الأربعين النووية.
- **فى الدراسات الأدبية:** ابن زيدون وشعره، والوصف فى شعر المتنبى، والاتجاهات الفنية فى شعر عبد الرحمن شكرى، والتيار الفكرى فى شعر شكرى. والنديم الأديب، والنبع الصافى، والكوثر العذب.
- **فى الدراسات النقدية:** اتجاهات النقد الأدبى العربى، وقضايا النقد الأدبى. والمذاهب النقدية بين النظرية والتطبيق، ونصوص نقدية لأعلام النقاد العرب.
- **فى الدراسات البلاغية:** أسرار البلاغة فى التشبيه والتمثيل، ومبحث التقديم فى دلائل الإعجاز، والعبارة وتأليفها بين كتابى نقد النثر والبرهان.

- في الدراسات اللغوية: فن القريض، ومن أدب الكاتب.

وقد حصل الدكتور فرهود على وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى وزار كثيرا من الدول العربية والإسلامية والغربية، وحضر العديد من المؤتمرات الثقافية والأدبية والإسلامية، وشارك في توجيه الثقافة في مصر والبلاد العربية مشاركة فعالة..

الشيخ عبد العزيز عيسى
صفحة مضيئة من تاريخ الأزهر الحديث

أحد أعلام الأزهر وشيوخه الكبار، ورائد من رواد الإصلاح والتجديد الأجلاء.. كانت له مكانته السامية فى حلقاته العلمية. ومنزلته العالية فى أروقته، وبين شيوخه وطلابه.

ولقد عاش الشيخ عبد العزيز عيسى ١١ أغسطس ١٩٠٨- ٢نوفمبر ١٩٩٤ خمسة وثمانين عاما كانت كلها أوجلها خالصة للعلم، ولخدمة كتاب الله وعلوم الشريعة والعربية والتراث الإسلامى الخالد وقضى منها ثلاثة أرباع قرن متعلما ومعلما وموجها ومربيا ورائدا فى حقل المعرفة والثقافة الإسلامية، والإنسانية.

وكان يتسم بوقار الزهاد وعزتهم، وجلال العلماء وهيبتهم، مع التواضع فى رفعة، الى قوة الشخصية، وغزارة المعرفة وحضور البديهة، وحدة الذكاء وحلاوة الحديث، وكياسة الظرف وحسن المظهر،وجمال المخبر، حافظ على شخصيته الأزهرية طيلة حياته فلم يترك الزى الأزهرى إلى الأزياء المستحدثة، واعتز بلقب (الشيخ) فلم يفكر فى يوم من الأيام ان يلقب نفسه بلقب (دكتور) الذى كان مؤهله العلمى يمنحه إياه.. وكل ذلك مع الرقة والوداعة وعفة اللسان وحب الخير ما استطاع إليه سبيلا.

وكان والده من العلماء، فشب محبا للعلم، مستزيدا من القراءة والمعرفة وحب الكتاب، طموحا إلى بلوغ منازل كبار الشيوخ.. وحفظ القرآن صغيراً، وتطلعت آماله إلى الأزهر الشريف، فقاده طموحه إلى حلقاته العلمية الجليلة، وإذا هو- وهو فى العاشرة من عمره- طالب عن طلابه المقبلين على العلم والتعلم.

وعين الشيخ مدرسا فى المعاهد الأزهرية بالأقسام الابتدائية، ثم اختير مع صفوة من العلماء للأقسام الثانوية، مدرسا للبلاغة والنحو.

ولكفايته العلمي، وتقدير الجميع لخلقه وعلمه، اختير مدرسا فى كلية اللغة العربية ولكنه طالب بنقله إلى كلية الشريعة، حيث مجاله العلمى، وطموحه الأزهرى، وحيث شيوخه الكبار الذين تتلمذ عليهم، ونهل من علمهم، ذلك على الرغم من تخصصه فى العلوم العربية، إلى جانب العلوم الدينية الشرعية.

وفى أغسطس ١٩٤٨ فى عهد مشيخة الإمام الأكبر الشيخ محمد مامون الشناوى رحمه الله صدر قرار مجلس الأزهر الأعلى ، بتعينه مدرسا بكلية الشريعة، وفى هذا القرار عينت أنا مدرسا فى كلية اللغة العربية بعد أن قضيت عامين فى معهد الزقازيق الدينى مدرسا للعلوم العربية والشرعية.

وانتقل شيخنا الجليل إلى حيث هوايته العلمية، وطموحه فى أن يكون من علماء الشريعة الكبار، مدرسا للفقه الإسلامى وأصول الفقه وآيات الأحكام وما إلى ذلك كله.

وفى كلية الشريعة ظهر تفوقه العلمى، وروحه الفقهية العالية، وصار زميلا لصفوة من مشايخ الأزهر الكبار، من أمثال الشيخ الأكبر محمود شلتوت، والشيخ الأكبر عبد المجيد سليم مفتى مصر، والذى كانت له محاضرات يلقيها على طلابه فى الكلية.

وللثقة بشيخنا الجليل فى كل جوانبه العلمية والدينية اختير مفتشا فى الأزهر للعوم الشرعية والعربية، واختير معه كذلك الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد وشخصيات أخرى،

ثم صار شيخا لمعهد البعوث الإسلامية، ثم مديرا عاما للمعاهد الأزهرية عام ١٩٦٩ ثم وكيلا للأزهر الشريف عام ١٩٧٢ ثم وزيرا للأزهر فى عهد الرئيس المصرى الخالد محمد أنور السادات، وذلك فى شهر مارس١٩٧٣.

ولكن الشيخ بعد فترة قصيرة رأى أن يترك منصب الوزارة، إلى حيث الحياة الطلقة، مع العلم والشريعة وأجيب إلى طلبه، وأسندت بعده وزارة الأزهر إلى زميله وصديقه الداعية إلى الله الشيخ محمد متولى الشعراوى، رحمه الله.. وكان ذلك فى منتصف إبريل ١٩٧٥.

وقد اختير الشيخ الجليل عضوا فى المجالس القومية المتخصصة التى يرأسها الدكتور عبد القادر حاتم، وصار الشيخ رئيسا لشعبة جديدة أنشئت فيها للإفادة من خبراته وفكره، وهى شعبة التعليم الأزهرى، ورأى فضيلته أن منبر هذه الشعبة يمكنه من أداء واجبه نحو معهده العريق، ومن اقتراح ما يراه كفيلا بإصلاح التعليم الأزهرى إصلاحا كاملا وشاملا.

وقد ظل الشيخ الكبير رئيسا لهذه الشعبة حتى وفاته حيث رأسها من بعده الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر الأسبق أطال الله فى حياته.

وبعد، فهذه صفحة صغيرة من سجل حياة الشيخ، رحمه الله، ولسوف نعاود الكتابة عنه وحول سيرته العطرة، وآرائه فى الاجتهاد، وفكره فى الإصلاح، ودعوته إلى التقريب، والله الموفق.

الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد
رائد مدرسة التحقيق العلمى

(١)

يمثل الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد جيلا كاملا من الكفاح العلمى الكبير، حتى ليعد رائدا عظيما لمدرسة التحقيق العلمى، سار على ضوئه المحققون وشراح كتب التراث الإسلامى العربى.

وقد تتلمذ محمد محى الدين عبد الحميد على جيل الرواد الإسلاميين الكبار، الذى ازدانت بهم الحياة المصرية فى أوائل القرن العشرين وكانوا دعامة النهضة العربية والأدبية والوطنية فى العالم العربى كافة.

وقد تخرج محمد محى الدين من الأزهر الشريف - يحمل شهادة العالمية أعلى شهاداته العلمية آنذاك، وكان نجاحه بل تفوقه يومئذ مثار الدهشة، فقد جاء الأول على فحول أقرانه من العلماء وذلك عام ١٩٢٥م.

وشغل فى هذه الحقبة الطويلة الكثير من المناصب العلمية الرفيعة: أستاذا بالأزهر، فأستاذا بكلية اللغة العربية، فمفتشا عاما بالمعاهد الدينية، فوكيلا لكلية اللغة، فأستاذا بكلية أصول الدين، فرئيسا لمفتشى العلوم الدينية والعربية بالأزهر، فعميدا لكلية اللغة العربية، فعضوا بالمجمع اللغوى، ورئيسا للجنة الفتوى بالأزهر، وعضوا فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وفى كثير من الهيئات العلمية، ولا ننسى أنه اختير عام ١٩٤٠ للسودان ليشارك فى تأسيس مدرسة الحقوق العليا فى الخرطوم وقد قام حينذاك بمهمته خير قيام، وكان مضرب المثل فى علو المنزلة وسمو المكانة بين السودانيين والمصريين على السواء.

ومثل الأزهر فى كثير من المؤتمرات الثقافية واللغوية والأدبية، ووجه الثقافة فيه الوجهة الرفيعة العميقة، التى أثرت فى بناء الجيل الحاضر تأثيرا كبيرا.

ويمثل الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد فلسفة لغوية لها منهجها ودقتها وعمقها، فهو يرى ضرورة تربية الحس اللغوى لينتهى بصاحبه إلى الذوق الأدبى، ويبدأ بالكلمة لينتهى إلى الأسلوب فالأدب نفسه، ودور الكلمة فى الأدب درو كبير وأثرها فى بناء العمل الأدبى ضخم وجليل.

والأستاذ محمد محيى الدين يقف دائما فى مجال الريادة:

فهو أول من فكر فى تأليف كتب دينية مزدانة بالصور للأطفال، فألف خمسة أجزاء: اثنين للبنين، واثنين للبنات، وكتابا مشتركا وقد ذاعت هذه الكتب آنذاك حتى كان المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام يذكر أنه شاهد ترجمات لها بالفارسية وبالتركية.

وهو أول من عنى بكتب التراث وتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا، مما ينجلى لنا فيما حققه من أمهات كتب التراث فى الأدب والنقد والبلاغة واللغة والنحو والصرف. ولذلك يعد بحق شيخ العلماء المحققين.

وهو أشهر شارح ومفسر لكتب القدماء فى مختلف فنون العلم. وقد سهل بذلك على الجيل المعاصر قراءة هذه المصادر. والإفادة منها والاغتراف من بحورها.. وقد اختارت مؤسسة (بريل) فى هولندا نشر شرحه على شرح ابن عقيل بالحروف البارزة ليقرأه المكفوفون. ونحن نشكر لها هذا العمل العلمى والإنسانى معا.

وإذا عدنا إلى الأعمال العلمية لهذا العالم الجليل من أعلامنا المعاصرين نجدها تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دراسات أدبية ولغوية وإسلامية ألفها، وكانت مثلا لرصانة العلماء وعمق البحث، ودقة التأليف، ومنها:

١. دراسة كبيرة له عن المتنبى ونقد شعره نشرها فى مجلة الأزهر تباعا. وتعد من أهم المراجع عن أبى الطيب وشعره.

٢. دراسة عن الفكر الإسلامى عند الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر الأسبق، وقد نشرت فى مجلة الكتاب التى كانت تصدر عن دار المعارف عدد نوفمبر ١٩٤٥م.

٣. تصريف الأفعال: وهو كتاب مشهور لم يؤلف مثله حقا،ويعد مكملا لمنهج القدماء فى دراسة الأفعال، وطبع عدة طبعات، وكان مرجعا علميا للأساتذة والطلبة فى كليات اللغة ودار العلوم والآداب.

أحكام المواريث فى الشريعة الإسلامية - المعاملات الشرعية - الأحوال الشخصية - أصول الفقه. وهى كتب أربعة مشهورة، كانت تدرس فى كليات الحقوق وأصول الدين. وفى مدرسة الحقوق العليا فى الخرطوم وطبعت عدة طبعات.

القسم الثانى : كتب من أمهات التراث فى مختلف العلوم، حققها عالمنا الجليل تحقيقا علميا دقيقا، عنى فيها عناية فائقة بتقويم النص، وضبط مشكله، وشرح غريبه، ومنها:

سيرة ابن هشام - الموازنة للآمدى - يتيمة الدهر للثعلبى - العمدة لابن رشيق - نفح الطيب للمقرى - وفيات الأعيان لابن خلكان - زهر الآداب للحصرى - فوات الوفيات لابن شاكر، معاهد التنصيص للعباسى - مروج الذهب للمسعودى - مقالات الإسلاميين للأشعرى.

وغير ذلك مما يضيق المجال عن حصره، ومما تلقاه قراء العربية فى كل مكان بالتقدير والإعجاب، إذ رأوا فيه طاقة علمية فريدة، واتخذوا منه عمدة المصادر لجميع طلاب الجامعات فى العالم الإسلامى العربى.

القسم الثالث: كتب من التراث شرحها شرحا وافيا، وذلل صعوباتها للباحثين، وأضاف إليها الكثير من الدراسات .. ومنها أهم كتب الثقافة العربية:

كشرحه للأجرومية الذى خرج بعنوان (التحفة السنية) وظل إلى اليوم يدرس فى جميع أنحاء العالم العربى الإسلامى وطبع أكثر من خمس وعشرين طبعة.

وكشرحه للأزهرية.

وشرحه على شرح قطر الندى لابن هشام الذى طبعه ثلاث عشر طبعة.

وكشرحه على شرح شذور الذهب لابن هشام.

وشرحه على شرح ابن عقيل فى أربعة أجزاء كبار، وطبع خمس عشر طبعة.

وشرحه على أوضح المسالك لابن هشام. ويقع فى أربعة أجزاء ضخام. وطبع نحو عشر طبعات.

وشرحه على شرح المفصل للزمخشرى وهو من أصول اللغة العربية.

وشرحه على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ويقع فى أربعة أجزاء كبيرة وهو يطبع الآن للمرة الثالثة.

وشرحه على كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين فى جزءين كبيرين، ويدرسه المستشرق الفرنسى بلاشير لطلابه فى السربون مؤثرا لهذه الطبعةعلى الطبعة الأوربية.

وكشرحه على متن التلخيص فى البلاغة وطبع طبعات عدة.

-٣-

وقد تتلمذت على عالمنا الجليل أجيال عديدة من الشباب، وفى مقدمتهم أساتذة وعمداء كثير من الكليات الدينية واللغوية والأدبية فى مصر والسودان والعالم العربى، ومنهم جمهرة من كبار رجلات الدولة فى العالم العربى.. وما أكثر تلاميذه فى الشرق والغرب، وجميع المستشرقين فى العالم يولون بحوثه وتحقيقاته عناية فائقة، واهتماما كبيرا.

وقد توفى رحمه الله فى محرم ١٣٩٣هـ - مارس ١٩٧٣ عن نحو السبعين عاما.. أجزل الله له الثواب كفاء ما قدم لدينه ولغة كتابه الحكيم ولتراث العربية وآدابها من جهود خالدة على مرور الأيام.

الشيخ محمد أحمد عرفه

-١-

من أعلام الأزهر فى العصر الحديث، شيخ جليل، وأستاذ كبير.

تتلمذنا عليه فى كلية اللغة العربية فى الثلاثينيات، حيث كان يدرس لنا الفلسفة الإسلامية.

ثم تتلمذنا عليه فى الدراسات العليا، حيث درس لنا البلاغة العربية. فكان نعم الأستاذ والمرشد والموجه.

تولى رياسة الوعظ فى الأزهر الشريف فى الخمسينيات، كما تولى رياسة تحرير مجلة الأزهر فترة من الوقت وفى كل مكان عمل فيه كان نعم الأستاذ، والعالم، والمفكر، والداعية إلى الله.

قضى الشيخ عرفة أكثر من خمسين عاما فى الأزهر طالبا وأستاذا وموجها.

دخل سلك التعليم فى الأزهر عام ١٩٠٤ حيث التحق بمعهد دسوق الدينى، ثم أكمل تعليمه الثانوى فى معهد الإسكندرية الدينى، ثم التحق بالقسم العالى فى الأزهر الشريف، وحصل منه على شهادة العالمية عام ١٩٢١، وعين أثر ذلك مدرسا فى الأزهر الشريف فى معهد الإسكندرية.

ولما أنشئت كليات الأزهر عام ١٩٣١ اختير للتدريس فى كليات الشريعة الإسلامية، وفيها ظهر نبوغه العلمى، وعلت مكانته الدينية، فاختير وكيلا للكلية عام ١٩٣٣، ثم نقل أستاذا فى كلية اللغة العربية، وظل فيها ثلاثة عشر عاما، وفى عام ١٩٤٣ اختير عضوا فى جماعة كبار العلماء، وفى عام ١٩٤٦ اختير مديرا للوعظ ومديرا لمجلة الأزهر، وفى عام ١٩٥٩ أحيل إلى التقاعد.. وظل عاكفا على القراءة والكتابة والدعوة إلى الله حتى توفاه الله إلى رحمته عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

كانت شخصية الشيخ محمد أحمد عرفه شخصية رجل الدين الوقور العالم، الداعية إلى الله وكان يحب الكتاب حبا جما، ويقضى جل وقته معه وفى صحبته.

وكانت عقالاته في الدفاع عن الإسلام ذات صدى كبير في الرأي العام وكان ينشرها في صحيفة الأهرام.

-٢-

ترك مؤلفات عديدة، منها:

١. النحو والنحاة.
٢. رسالة الأزهر في القرن العشرين.
٣. نقض مطاعن في القرآن الكريم، وهو كتاب جليل يناقش آراء الدكتور طه حسين في كتابة الشعر الجاهلي.
٤. اللغة العربية، لماذا اخفقنا في تعليمها وكيف نعلمها.
٥. السر في انتشار الإسلام.
٦. الإسلام أم الشيوعية.
٧. إنقاذ البشر من أن يفنى بعضهم بعضا بالحرب الذرية.

وترك الكثير من أحاديثه في الإذاعة والصحف التي لم تنشر حتى اليوم.

وكان لديه مكتبة حافلة بشتى الكتب الحديثة والقديمة، كان يقضي فيها معظم أوقاته.

-٣-

وكان مقربا من جميع شيوخ الأزهر، يعرفون له مكانته الدينية، ويعرفون له منزلته الروحية في وسط الشعب.

وكان محبوبا من تلاميذه لما يفيدهم إياه من العلم الغزير، والفهم العميق لأصول الشريعة وفروعها، ولأسرار كتاب الله العزيز ولخصائص اللغة العربية وقواعدها. وكتابه (النحو والنحاة) خير شاهد على ذلك كله.

وكان الشيخ رحمه الله جميل الهندام، أنيق الملبس، معروفا بشجاعة الرأي وبالصلابة في الحق، لا يلين إلا لحكم العدل والإنصاف، ولا يخضع إلا لقانون الواجب والنصفة، وكان الناس يقصدونه في مختلف شئونهم وحوائجهم، فلا يرد

سائلا، ولا يخيب ظن ظان فيه، ينهض مع المظلوم لينال الإنصاف على يديه، ويسعى في الخير ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان من جيل الشيوخ الكبار، جيل تلاميذ الإمام محمد عبده: من مثل محمد شلتوت، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ومصطفى عبد الرازق، والمراغي، والزنكلوني، وحمروش ومأمون الشناوي والخضر حسين ، وسواهم.

رحمه الله عز وجل وأجزل مثوبته جزاء ما قدم للعلم والدين، وللإسلام والمسلمين.

الشيخ عبد المتعال الصعيدى

علم من أعلام الأزهر البارزين فى العصر الحديث وشيخ من كبار شيوخه الذى أثروا بحق البيئة الثقافية الإسلامية ببحوثهم ودراساتهم ومؤلفاتهم..

كان من أكثر علماء الأزهر نشاطا علميا دائبا لا يفتر، ولا يهدأ، ولا يستكين. شارك ببحوثه الضافية التى كانت تنشرها له الصحف والمجلات الأدبية فى المعترك الصاخب الذى نشب بين المفكرين فى الثلث الثانى من القرن العشرين، وله فى ذلك مواقف رائعة ترسم فيها خطى مدرسة الإمام محمد عبده فى تحليل المسائل الإسلامية، ومعالجة المعضلات الفكرية والدينية، وكان صوته من أقوى الأصوات الرنانة فى الدعوة إلى الإصلاح والتجديد.

ومقالاته فى صدر الأهرام وفى مجلة الرسالة، ومجلة الأزهر، والمجلات الثقافية والأدبية والدينية حافلة بكل جديد وطريف من الآراء والأفكار والدعوات الحرة الجريئة فى الإصلاح، داخل الأزهر وخارجه.

وكان الشيخ عبد المتعال الصعيدى نموذجا فريدا جليلا للأزهرى الداعية والمفكر الأديب والإنسان المكافح.

تراه فى سمته الجليل، ووقاره المهيب، وفى زيه الأزهرى متنقلا بين المكتبات ودور النشر والصحف، لا يعير الحياة من حوله التفاتا إلا بمقدار ما تعيره هى له من قدرة على أداء رسالته، والتمكين له فى نشر آرائه وأفكاره.

كتب فى تجديد النحو العربى كتابه الجليل (النحو الجديد)، يدعو إلى العناية بدراسة أمهات أبواب النحو وقواعده، وترك الفضول والقشور والتعقيدات المملة دون طائل.

وكتب فى المنطق كتابه (تجديد علم المنطق) مبسطا لقضاياه وأقيسته ومسائله الجوهرية الكبرى.

وكتب فى البلاغة كتابه (البلاغة العالية) يدعو إلى تبسيط مسائل البلاغة، ومجانبة فلسفة السكاكى ومدرسته، ومدرسة الشراح المعقدين دون طائل، وشرح

كتاب الإيضاح فى البلاغة للإمام القزوينى فى أربعة أجزاء شرحًا جميلاً متميزًا، ينم عن أصالة ودقة فهم وعمق إدراك لمشكلات البحث البلاغى.

وشرح كتاب (أوضح المسالك) فى النحو للإمام ابن هشام النحوى المصرى شرحا لطيفا مفيدا انتفع به الطلاب والعلماء.

وله كتاب (الميراث فى الشريعة الإسلامية) و(توجيهات نبوية) و(لماذا أنا مسلم) و(القرآن والحكم الاستعمارى) و(السياسة النبوية فى المدينة) و(وحى النبوة) و(النظم الفنى فى القرآن) وهو من أجل مؤلفاته وأنفعها.

وألف كتابه المشهور الذائع الذى نرجو أن يعاد طبعه(المجددون فى الإسلام) وله كتاب (القضايا الكبرى فى الإسلام) وهو كتاب ذاع فى كل الأوساط الثقافية واثنى عليه العلماء ثناء كبيرا.

وله كتاب (مختارات الشعر الجاهلى) وكتاب (أبو العتاهية) وكتاب (إمارة الشعر الجاهلى بين امرىء القيس وعدى بن زيد).

إلى كتب أخرى كثيرة، تنم عن أصالة فكر، وعمق ثقافة ودقة فهم وتحليل لمختلف جوانب المشكلات الثقافية والأدبية والدينية جميعا.

وبحق كان الشيخ عبد المتعال الصعيدى أمة وحده فى زهده ونسكه وورعه وعكوفه على القراءة والكتابة والتأليف.

أحيل إلى التحقيق مرار بسب آرائه المتميزة فى بعض المسائل الإسلامية كالحدود وغيرها، وكانت اللجان التى تحقق معه كثيرا ما تمدحه وتنوه به وتشاركه آراءه التى لا تمس صميم العقيدة وأصول التجديد.

وهو من مواليد (كفر النجبا) احدى قرى مركز أجا بمحافظة الدقهلية، وكان ميلاده فى السابع من مارس من عام ١٨٩٤ الموافق الحادى عشر من رمضان عام ١٣١١هـ، ونال شهادة العالمية عام ١٩١٨،وعمل مدرسا فى الأزهر ومعاهده منذ تخرجه.. وحين أنشئت الكليات الأزهرية اختير عام ١٩٣٢ أستاذا فى كلية اللغة العربية وتخرج على يديه أجيال من العلماء الذين عودهم حرية الرأى والبحث ووجههم نحو الكشف عن الحقائق والعناية بالجوهر، ونبذ القشور والتعقيدات.

وقد كرمت الدولة جهاده العلمى وجهوده الدائبة فى خدمة الإسلام فمنحه الرئيس حسنى مبارك وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ فى الاحتفال بعيد الأزهر الألفى وأطلق اسمه على شارع فى الحى السابع فى مدينة نصر.

وكان أكبر تكريم له أن إنتاجه العلمى لا يزال يدرس فى كليات الأزهر ومعاهده حتى اليوم.

ولا شك أن الشيخ الصعيدى جدير بعناية الباحثين والعلماء للكشف عن جوهر ثقافته، وأصول فكره الدينى واللغوى والأدبى، ولتخليد ذكراه كداعية من دعاة الإصلاح والتجديد، مما لمسه الناس فى كتبه العديدة المطبوعة والمخطوطة التى حفظت أصولها فى مكتبة الأزهر والتى نرجوا أن تنشر ويعاد طباعتها تخليدا لتراث علمى كبير، ولفكر عالم حر جرىء، عاش مخلصا للعلم، ولم يترك القلم من يديه حتى فاضت روحه إلى بارئها فى الثانى والعشرين من أبريل ١٩٦٦، فسقط القلم من أصابعه ونام بجواره فى رحاب الخلود.

رحمه الله وأجزل مثوبته عن الإسلام والمسلمين.

الشيخ سليمان نوار

١٨٨٦ - ١١ فبراير ١٩٦٩

-١-

شخصية علمية كبيرة، قامت بدور كبير فى خدمة الثقافة العربية والإسلامية فى الأزهر فى العصر الحديث.

كان رحمه الله، فارع الطول، قوى البنية تشع عيناه بريقا وذكاء، يتكلم العربية الفصحى ولا يتكلم إلا بعد تفكير طويل، وإذا تكلم كان رأيه فصل الخطاب.

عاش عصر النضال الوطنى العظيم ضد الاحتلال عصر مصطفى كامل، وسعد زغلول، وشهد ثورة الزعيم مصطفى كامل أو قل حركته الوطنية الكبرى من أجل الحرية واشترك فى ثورة ١٩١٩، فكان هو والشيخ محمود أبو العيون، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز والسيد حسن القاياتى، والشيخ الزنكلونى، رحمهم الله جميعا، من خطباء الثورة المصرية، وعلى منبر الأزهر كانت أصواتهم أعلى الأصوات، وأكثرها حماسا وإيمانا بحق مصر الخالد فى الحرية والاستقلال.

وفى يوم من الأيام دعاه الصوفانى إلى اجتماع وطنى ضد سعد زغلول، فأبى، وقال له: إذا كان سعد قد أيقظ مصر لتطالب بحقها فى الحرية فما ذنبه؟

وفى عام ١٩٢٧ نشرت له صحيفة الأخبار سلسلة من المقالات حول، إصلاح الأزهر والإصلاح الاجتماعى والثقافى فى مصر.

-٢-

ومنذ تخرج من الأزهر الشريف عام ١٩٢١ وهو يجعل النضال الوطنى من أجل حرية وطنه جزءا متمما لنضال العالم الدينى من أجل خدمة شريعة الإسلام ولغة القرآن.

وكان لابن (كفر شكر) العالم الأزهرى الشاب النابغة- صوت مدو فى مختلف جوانب حياتنا المصرية الحافلة بأسباب النضال والثورة من أجل الإصلاح.

اشترك مع صفوة من العلماء فى المطالبة بإصلاح الأزهر، والعمل من أجل أزدهار حلقاته العلمية، مسترشدا فى ذلك بأفكار الإمام محمد عبده، الذى كان أقرب العلماء فى العصر الحديث إلى قلوب الشباب. من أبناء الأزهر وخريجيه وشيوخه.

وأنشئت كليات الأزهر الشريف الثلاث: الشريعة - أصول الدين - اللغة. فاختير الشيخ سليمان نوار أستاذا فى كلية اللغة العربية. للثقة بعلمه، وتفقهه فى اللغة والأدب فوق تفوقه فى الدراسات الإسلامية.

وفى عام ١٩٣٤و١٩٣٥ نهض الأزهر يطالب بتجدد حركة الإصلاح فى أروقته، ويعلن أن الأزهر لا يمكن أن يكون سندا لطغيان القصر الملكى واستبداد أعوانه،ومؤيدى بطش الوزارات المتآمرة على حرية الشعب، ويطالب بمسيرة قوية للإصلاح فى الأزهر، وكان شيخنا الجليل فى مقدمة المنادين بذلك، وفصل من الأزهر مع من فصلوا بسبب ذلك. ثم عادت الأمور فى الأزهر إلى الاستقرار، وعادت الدراسة فيه إلى الانتظام، ولكن ثورة الشيخ لم تهدأ. فقد رأى أن الأزهر الذى حارب فيه طغيان السياسة قد بدأ يعود إلى السياسة من الباب الخلفى مرة أخرى. ومن أجل ذلك ناهض شيخنا نوار مشيخة الأزهر آنذاك وعاد إلى الثورة مرة أخرى.

وعندما أنشأت الحكومة الجيش المرابط عام ١٩٣٩ فى وزارة على ماهر باشا، أشرف الشيخ بنفسه على التدريب العسكرى فى معهد الزقازيق، وشارك طلبته فى التدريب العسكرى، بهدف تكوين الوطنى الحر المناضل.. واعتقله الإنجليز عام ١٩٤٢ مع لفيف من الوطنيين الأحرار.

-٣-

ومن التدريس فى الأزهر، إلى التدريس فى الكليات الأزهرية، إلى التفتيش على علوم العربية فى الأزهر، إلى مشيخة معهد القاهرة الثانوى الأزهرى، إلى العودة لمنصب الأستاذية فى كلية اللغة العربية، إلى عمادة الكلية نفسها.. إلى الكثير من اللجان التى كان عضوا فيها، ظل الشيخ يناضل ويكافح نضال الأبطال وكفاحهم.

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، فكان صوت جامعة الإسكندرية وصوت الشيخ سليمان نوار في الأزهر أول الأصوات العالية في تأييد الثورة ومساندتها، ودعوة الشعب إلى الالتفاف حولها، والثقة بها.

وترك الشيخ سليمان نوار منصب العمادة فترة قصيرة، ثم أعيد إلى العمادة مرة ثانية، فالتف حوله طلابه وتلاميذه التفافهم حول رائد مناضل.

كان رحمه الله - يمثل شموخ العالم الأزهري وصموده في وجه الأحداث أتم تمثيل.

وكان يقوم بتدريس البلاغة والأدب والحديث والتفسير لطلابه في كلية اللغة العربية وأفاد الطلاب منه علما غزيرا، وفكرا مستنيرا وعطلا متميزا قوى الشخصية والمنهج العلمي.

دعا إلى الارتفاع بمستوى اللغة العربية وعلومها وآدابها عن طريق التراث والأصالة مع المعاصرة أيضا بتأثير الاتصال بالثقافات العالمية.

وكانت أفكاره في البلاغة العربية أفكار عالم ثائر على الجمود والتقليد يعمل من أجل تجديد الثقافة البلاغية ومن أجل تأصيلها وتعميقها في أذهان الشباب.. وكتاباه في القصر، وفي الإيجاز والإطناب والمساواة من أجل ما كتب في هذه الجوانب في البلاغة العربية، مما يشهد له بعلو الباع في فهم خصائص أسلوب العرب وبلاغتهم، وبسمو الذوق الأدبي والموهبة المطبوعة على الفصاحة والبيان، وبعظمة المنزلة العلمية في علوم البلاغة ودراساتها.

وألف كذلك كتابا في الحديث النبوي الشريف كان صدى لذوقه الرفيع، وعلمه الغزير، وملكته العربية المتطورة على اللسن والبيان والبلاغة.

وظل الشيخ مثابرا على القراءة والكتابة في عهد شبابه، وحتى بعد أن أحيل إلى المعاش. حيث كان يقيم في بلدته (كفر شكر) ويتردد على القاهرة في أوقات فراغه ليلتقي بطلابه وزملائه التقاء الأستاذ والموجه والمرشد.

وبفكر المستنير، وعقله الواسع، وذوقه العربي الأصيل، وثقافته الواسعة، التي كان من أدواتها إجادته للغة الفرنسية.. كان يملك قلوب الناس وعقولهم، ويستحوذ

على ألباب الشباب وحبهم وتقديرهم.. وناحية أخرى فى حياته هى حبه للرياضة وكثرة حبه لرياضة المشى الطويل، وبساطته فى حياته وفى كل ما يتصل به من التواضع والشموخ .. أخلص طول حياته للعمل من أجل أزدهار الثقافة العربية والإسلامية.

وكانت البساطة فى حياته منبعثة من إيمانه بأن الإسلام دين البساطة والسهولة والرفق وحب الناس والعمل من أجل إسعادهم، وجلب الخير لهم.

وظل الشيخ الجليل، يبنى من حيث يهدم غيره، ويجهر برأيه حرا من حيث يصمت سواه.. إلى اليوم الحادى عشر من فبراير عام ١٩٦٩، حيث وافته المنية، ولقى ربه، وترك الدنيا هذا العالم الأزهرى الكبير المتمكن وذلك الأديب الجليل الشاعر الموهوب .. بعد أن أدى واجبه فى خدمة الإسلام ولغة القرآن .. ومن أجل ازدهار الحلقات العلمية فى الأزهر الشريف.

رحمه اله رحمة واسعة.

الدكتور محمد سعاد جلال

عالم جليل من علماء الأزهر الخالدين، ترك أثره فى حياة مصر الثقافية والدينية ودوى صوته شرقا وغربا، وذاعت كلماته ومقالاته فى كل مكان.

كان العمود الذى يكتبه فى جريدة الجمهورية بعنوان (قرآن وسنة) حبيبا إلى نفوس القراء وقلوبهم يحمل آثارا من علمه وثقافته وروحه وفكره. وكان صدى لمطالب الحاضر ولصوت الماضى، ولنداء المستقبل.

ولد الشيخ من أبوين كريمين، وكان أبوه من العلماء، وذلك فى قرية (تلة) من أعماق المنيا عام ١٩١٠.

وحفظ القرآن الكريم، ودخل الأزهر الشريف، وتدرج فى معاهده حتى دخل كلية الشريعة عام ١٩٤١ وتخرج منها عام ١٩٤٧، وعمل مدرسا فى معاهد الأزهر الشريف عدة سنوات، ثم عين مدرسا فى كلية الشريعة الإسلامية عام ١٩٤٧.

وتدرج فى سلك وظائفها العلمية، حتى صار رئيسا لقسم الأصول، ثم أحيل إلى المعاش، وعندئذ انطلق صوته خارج الأزهر بالدفاع عن الإسلام، وبإبداء الرأى فى مشاكلنا العامة والخاصة ويشرح وجهة نظر الإسلام فى كل مشكلة وكل مناسبة.

كان بليغ العبارة، فصيح الأسلوب شديد التأثير فى نفوس قرائه : يمتاز أسلوبه بالموضوعية التامة، وبالعمق وسعة الاطلاع والتضلع فى مسائل الدين والدنيا.

وكان إلى ذلك خطيبا مفوها وأديبا مجودا، وطالما شارك بخطبه المدوية فى كل أمور الأزهر العامة والخاصة طيلة حياته، وكنا زملاء نجتمع لنفترق ونفترق لنجتمع، فإذا اجتمعنا كان الحب الصافى، والود المكين والإخاء الكامل، والوفاء الشديد.

وإذا افترقنا كان الثناء والتقدير والذكر الطيب، والتنويه الحميد بمآثره وشجاعته فى الحق وبطولته فى تحمل الأعباء.

وكان مدرسا يملك قلوب طلابة ومريديه. يؤثرون محاضراته على كل شيء ولا يكاد تلاميذه يفارقونه.

وكان في مؤلفاته مقنع الرأى، مقنع الحجة. مقنع الدليل والحوار والحجاج.

صديق من أصدقاء العمر، كان يدرس في قسم الفقه والأصول في الدراسات العليا بجامعة الأزهر، ويتبع هذا القسم كلية الشريعة الإسلامية.

وكنت أنا أدرس في قسم البلاغة والأدب والنقد في قسم الأستاذية- العالمية- من درجة أستاذ ويتبع هذا القسم كلية اللغة العربية.. ومع ذلك كان المكان واحدا، وهو مكان الكليتين في شارع البراموني، وكان الإخاء والصفاء والوفاء هي خلالنا العامة، وكان الحب المكين يجمعنا ويكللنا، رحمه الله.

ولم أكن أتصور في يوم من الأيام أن أنعى الصديق الدكتور الصديق محمد سعاد جلال.

ولكن هكذا كانت مشيئة الله، وإرادته الغالبة القاهرة.

أخي الدكتور محمد سعاد جلال لست أبكيك ولا أرثيك فأنت حاضر في القلب أبدا، وأنت حي بيننا لأنك شهيد العلم والأزهر والإسلام.

ولكنها الذكرى، واللوعة والحزن العميق. تهتصر نفوسنا، وتعتصر أرواحنا. فإلى رحمة الله، وفي جنات الخلد، وعليك من الله وملائكته ومن الناس أجمعين صلوات ورحمة.

والدكتور محمد سعاد جلال أحد الأقلام الشريفة التي وجهت الناس على طريق الله وفي خدمة الإسلام على مدى عشرين عاما عمر عموده اليومي (قرآن وسنة)في جريدة الجمهورية عاش خلالها الدكتور سعاد مع القراء قضايا عصره، كما ارتبط بقضايا وطنه وحرص على خدمة قضايا العالم الإسلامي، وعبر مسيرته الحافلة كان عالما جليلا، وفقيها متميزا، وأصوليا متمكنا يوضع في مقدمة العلماء البارزين الذين تحدثوا في علم أصول الفقه المقارن.

وقد عاش الدكتور سعاد جلال مجاهدا لإعلاء كلمة الله، ورفعة المسلمين مدافعا عن العدل والمظلومين.. شجاعا في إعلان رأيه.. قويا في حجته متواضعا في

علمه الغرير. بسيطا في حياته بين الناس يحظى باحترام القراء وتقديم الصفوة من خلال صولاته وجولاته الإسلامية التي تركها للمكتبة الإسلامية عبر العديد من مؤلفاته مثل (القياس في أصول الفقه و-البيان والنسخ في الشريعة و- وحدة الحق وتعدده في الشريعة -،و- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية - وغيرها من المؤلفات القيمة إلى جانب مقالاته وبحوثه المتعددة في أمور العقيدة بالصحف والمجلات التي تعرض فيها للاجتهاد أيضًا.

وكان طبيعيا أن يشتهر بمعاركه الدائمة على مدى أكثر من أربعين عاما في مواجهة الآراء الجديدة.

ومن صعيد مصر أيضا خرج محمد سعاد جلال عثمان للحياة في عام ١٩١٠، بمحافظة المنيا في مركز تلة، ومن كتاب القرية انطلق للحصول على العالمية والدكتوراه في الشريعة، وعمل بمعهد قنا الديني، ومعهد الناصر قبل أن يعمل أستاذا لأصول الفقه بكلية الشريعة في جامعة الأزهر،والجامعة الإسلامية بالسودان، كما عمل مستشارا للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وظل على جهاده في سبيل الإسلام حتى وافته المنية في يونيه من عام ١٩٨٣.. رحمه الله.

الشيخ محمد متولى الشعراوى شيخ الدعاه

كان الشعراوى الأسطورة، أو قل المعجزة. الذى رحل إلى جوار الله. وإلى عالم الخلود، منذ عام كامل - فجر الأربعاء الثانى والعشرين من صفر ١٤١٩هـ، السابع عشر من يونيو ١٩٩٨- كان يمثل بحق أرفع قيم الإسلام نسكا وعملا وخلقا وأدبا وإنسانية وبرا وعطاء، وبكته مصر والعالم الإسلامى قاطبة، وشعر كل مسلم بفداحة المصاب فيه، ولكنه الصبر والإيمان بقضاء الله وقدره، واللواذ بالخالق الأعلى يدفع إلى ترداد الآية الكريمة "إنا لله وإنا إليه راجعون".

ومع مكانة الإمام الشعراوى الإسلامية والفكرية والعلمية والاجتماعية فى وطنه، بل وفى الوطن الإسلامى عامة، لم يبلغ أحد من حب الجماهير وثقتهم وتعاطفهم معه ما بلغه هذا الشيخ الجليل، الذى كانت الجماهير تتلهف لسماع حلقاته الإسلامية عبر الإذاعة والتليفزيون وفى الأمسيات الدينية فى كل مناسبة.

وكان الإمام الشعراوى صديقا للزعماء والقادة ورجال الفكر والدين والأدب. ولعلماء الأزهر عامة على اختلاف مشاربهم وميولهم ونزعاتهم.

كرمته مصر، فاستدعاه الرئيس محمد أنور السادات من السعودية عام ١٩٧٦ ليشغل منصب وزير للأوقاف والدعوة، وظل فى هذا المكان حتى عام ١٩٧٨، ومنحه الرئيس السادات كذلك وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام١٩٧٦، كما منحه الرئيس محمد حسنى مبارك عام ١٩٨٨ الجائز التقديرية فى العلوم الاجتماعية.وفى عام ١٩٨٩ كرمته محافظة الدقهلية وسط حفاوة أبناء محافظته وتهليلهم، وتبرع فى هذا الحفل بمليون جنيه لمكاتب تحفيظ القرآن فى المحافظة. كما اختير عضوا بمجمع الخالدين عام ١٩٨٧، وعضوا بالهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامى فى مكة. وفى عام ١٩٩٠ كرمته جامعة المنصورة فمنحته الدكتوراه الفخرية فى الآداب تقديرا وإكبارا لشخصيته الجليلة، وفى هذا التكريم تحدث الأساتذة الدكاترة:

- عبد الهادى النجار عميد حقوق جامعة المنصورة.
- على بركات عميد آداب المنصورة.

- عبد الفتاح حسن رئيس الجامعة.

منوهين بعطائه لدينه ولوطنه وللعالم الإسلامي، ولا ننسى خطبته الخالدة في هيئة الأمم المتحدة منوها بدعوة الإسلام إلى السلام.

وفي أوائل عام ١٩٩٨ - ١٤١٩هـ - كرمته دبي باختياره الشخصية الإسلامية الأولى في العالم الإسلامي لعام ١٩٩٨، ومنحه سمو الأمير زايد آل نهيان وسام زايد من الدرجة الأولى، وتبرع بالجائزة التي منحت له للأزهر الشريف وطلاب البعوث الإسلامية فيه.

ولا نسل عن حب الشعب له بجميع طبقاته، والتفافهم حوله، حتى كان بيته مقصد الجميع وذوي الحاجات وطالبي الخير، وكان يتسع صدره لكل الناس ويقابل كل قاصد له، وكل ذي حاجة، حتى السيدات بجميع فئاتهن وألوانهن وطبقاتهن ومشاربهن.

والصرح الإسلامي الكبير الذي بناه هذا الشيخ الجليل في بلدته دقادوس، من معاهد أزهرية ومكتب لتحفيظ القرآن الكريم ومسجد فسيح ومستشفى لعلاج الفقراء ومبرة لمساعدة الفقراء، عمل كبير سيلقى جزاءه عليه من المولى عز وجل في دار الجزاء.

ودروس الشيخ في شرح كتاب الله وتفسير آياته البينات كانت بحق من أرفع الشروح في التفسير،وكان الشيخ يبلغ فيها غاية السمو، حتى ليفهمها الصغير والكبير الأمي والمتعلم، والمثقف وغير المثقف، ويستمع إليها في شوق وحب كل الجماهير.

إلى مؤلفاته التي لاقت ذيوعا وإقبالا من الناس ما بعدهما من ذيوع وإقبال.

رحمك الله يا شيخ الدعاة، جزاء عملك الصالح للإسلام وللمسلمين وللناس كافة، فلقد أعطيت وبذلت، وعملت ما لم يستطيع أحد عمله في وطننا اليوم.

-٢-

لقد مات الشيخ عن ثمانية وثمانين عاما، فقد ولد في الخامس عشر من أبريل من عام ١٩١٠ - الثاني عشر من ربيع الثاني عام ١٣٢٨هـ في قريته دقادوس من أبوين كريمين صالحين، وحفظ القرآن الكريم ثم التحق بمعهد الزقازيق وهو في نحو

الخامسة عشر من عمره وذلك عام ١٩٢٦ نال الابتدائية والثانوية من هذا المعهد، ثم التحق بكلية اللغة العربية، ونال منها الشهادة العالية عام ١٩٤١، ثم إجازة التدريس التى تعد بمثابة (الماجستير) عام ١٩٤٣، وكان الذى ينال هذه الشهادة يقدم مع الامتحان الشفوى والتحريرى رسالة أى بحثا فى أى موضوع علمى يختاره. وعين مدرسا للعلوم العربية - بعد أن نجح فى امتحان مسابقة كان الأول فيه - فى معهد طنطا الدينى الأزهرى، ونقل إلى معهد الإسكندرية فالزقازيق، إلى أن عين وكيلا لمعهد طنطا عام ١٩٦٠، فمديرا للدعوة بوزارة الأوقاف عام ١٩٦١، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر عام ١٩٦٢، فمديرا لمكتب الشيخ حسن مأمون شيخ الأزهر آنذاك عام ١٩٦٤، واختير عام١٩٧٠ أستاذا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة،وفى هذه الأثناء صدر له فى السعودية بالإنجليزية - كتاب "نبض الرحمن فى معجزة القرآن" وهو أول مؤلفاته وطبع منه ملايين من النسخ على طبعات متعددة وزعت فى أوربا وأمريكا، كما طبع منه بالعربية مئات الآلاف من النسخ، وصح أن يطلق عليه من يومئذ لقب (جار الله) ومن جواره لبيت الله جاءته الفيوضات الإلهية من كل جانب.

وتولى الشيخ منصب وزير الأوقاف وشئون الدعوة عامين (١٩٧٦ - ١٩٧٨). وبعدها تفرغ لشئون الدعوة الإسلامية تفرغا كاملا، إلى أن توفاه الله جل جلاله إلى رحمته، وقد دعا له الشعب كافة بأن ينزله الله منازل الشهداء والصالحين الأبرار من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

-٣-

ويمثل الإمام الشيخ الشعراوى بالنسبة لى زميل الصبا ورفيق الشباب والصديق الوفى فى شتى مراحل طلب العلم، والعمل فى خدمة اللغة والأدب والدين طيلة حياتنا حتى وفاته رحمه الله.

كنا فى معهد الزقازيق طالبين معا، مذاكرتنا وسهراتنا وندواتنا معا، وميولنا ومشاربنا السياسية والعلمية والأزهرية واحدة، قراءاتنا فى مختلف كتب الدين والأدب والشعر تكاد تكون كذلك واحدة، وانتماءاتنا لمدرسة شوقى وحافظ انتماءات مشتركة، إلى قراءاتنا لشعر الديوانيين والأبوليين والمهجريين، والمجلات

الأدبية الكبيرة من مثل: السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة والعصور والمقتطف والهلال، بل وللصحف اليومية وبخاصة صحف الوفد كالجهاد والبلاغ وغيرهما..

واشتركنا معا فى الثورة الوطنية عام ١٩٣٤ ضد الإنجليز طلبا للاستقلال والجلاء والحرية وفى عام ١٩٣٦ أصدر ديوانه "بنات الأفكار" وفى دراستنا العالية وفى شتى جوانب الحياة زادت صلاتنا وثوقا وامتدادا، والذكريات طويلة وكثيرة، ولا زلت أذكرها بفيض من الحزن، لأن هذا الإنسان الكبير قد استأثرت به رحمة الله وغاب عن الحياة الدنيا إلى حياة الآخرة، وإلى عالم الخلود.

فى تكريم د/ أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر سابقا

اليوم معنا الأزهر الشريف وحلقاته العلمية المضيئة وشيوخه وأعلامه القدماء والمحدثون والمعاصرون.

معنا ابن خلدون فى حلقته العلمية يدرس فلسفة التاريخ وفلسفة الاجتماع ويكتب مقدمته الشهيرة فى صحن الأزهر، ومعنا ابن منظور يجلس وبجواره معجمه الكبير (لسان العرب)، والزبيدى وبجواره معجمه الشهير (تاج العروس)، والمقرى وهو يدرس لطلابه الأدب الأندلسى وكتابه (نفح الطيب)، ومعنا عبد الغنى النابلسى فى حلقته الصوفية، ومعنا المحضر حسين القوفى، ونور الدين الحسن السودانى، وعيسى منون الفلسطينى وسواهم من أبناء العالم الإسلامى الذين تسموا أرفع المناصب فى الأزهر الشريف.

ومعنا مئات الأجيال وآلاف من العلماء وآلاف من أعضاء هيئات التدريس. وإحدى عشر ألف طالب من الوافدين والوافدات ومائة ألف من الطلاب الذين حضروا من القرى والنجوع فى مصر ليتلقوا تعليمهم فى جامعتنا الكبرى.

نعم معنا الإمام محمد عبده الجالس فى حلقته فى الرواق العباسى يلقى دروسه فى تفسير كتاب الله.

ومعنا الظواهرى والمراغى ومصطفى عبد الرازق وعبد المجيد سليم وحمروش وشلتوت وعبد الحليم محمود وسواهم من أئمة الأزهر وشيوخه.

ونحن جميعا نكرمك جامعا وجامعة ترسل أنوارها إلى كل مكان فى العالم..

نكرمك عن أجل الماضى والحاضر والمستقبل.

فقد عرفناك فى ماضيك تجهر دائما بكلمة الحق، وتعلى ميزان الصدق. وترفع صوتك عاليا بدعوة الإسلام.

وحاضرك رئيسا لأربع وخمسين كلية، ومسئولا عن التوجيه الروحى والإسلامى والعلمى فيها، وممثلا للجامعة كليات وأساتذة وطلابا وعاملين يرشدنا إلى

أنك ستبنى، وتواصل المسيرة، وتعز كلمة العلم، ورسالة الدين بعد تسعة كرام بررة سبقوك فى البناء والعمل.

وعنك يا سيادة الأستاذ نتفاءل بأنه سيكون بإذن الله غدا مشرقا بالأمل والعمل، من أجل عزة الإسلام، ورفعة شأن العلم والعلماء فى جامعتنا الكبرى أم الجامعات فى العلم، وقديما قال ابن خلدون : مصر أم الدنيا والأزهر منارة الإسلام، ومن لم يرها لم يعرف عزة الإسلام.

السيد الأستاذ الدكتور..

ما من رجل عظيم فى وطننا، بل وفى العالم الإسلامى كافة إلا ونهل من معين الأزهر، وغرف من علم شيوخه، ولقد صدق أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال:

ما ضرنى أن ليس أفقه مطلعى

وعلى كواكبه تعلمت السرى

وقال أمير الشعراء لجريدة الأخبار القديمة فى عددها الصادر فى السادس من سبتمبر ١٩٤٠: سأظل فخورا دائما بأن من أساتذتى شيوخا من الأزهر الشريف وكبار علمائه، ولقد سد الأزهر فراغا كبيرا فى التعليم فى مصر والبلاد الشرقية جميعا كان لا يرجى له بدون الأزهر سداد.

وحين عاد سعد زغلول من منفاه عام ١٩٢١ زار الأزهر وقال : جئت اليوم لأؤدى فى هذا المكان الشريف فريضة صلاة الجمعة، ولأقدم واجب الاحترام لمكان نشأت فيه وكان له فضل كبير فى النهضة الحاضرة، وتلقيت فيه مبادىء الحرية والاستقلال، وقد سجل العقاد رحمه الله ذلك فى كتابه عن سعد زغلول فى الصفحة الحادية والستين.

الخفاجي الذي عرفناه

بقلم

د/ طالب مهدي الخفاجي

أستاذ في كلية اللغات بجامعة بغداد

الدكتور الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي، إمام العلماء، وجاحظ العصر، من مواليد ٢٢ يوليو ١٩١٥ في المنصورة، عالم أزهري موسوعي، ترك بصماته على العصر، وعلى الجيل والتاريخ وعلى الثقافة العربية والإسلامية.

وحسبكم أن له أكثر من خمسمائة مؤلف منشور منها :

- تفسير للقرآن الكريم - ١٣ جزءا.
- شرحه لصحيح الإمام البخاري -٩ أجزاء.
- موسوعة عن الخفاجيين وتاريخهم الطويل - ١٥ كتابا.
- شرحه للإيضاح في البلاغة - ٦ أجزاء.
- موسوعة في الأدب العربي القديم والحديث - في نحو مائة كتابا.
- موسوعة في البلاغة والنقد - وتبلغ نحو ثلاثين كتابا.
- موسوعته في دراسات إسلامية - وتبلغ نحو المائة.
- مؤلفات مشتركة، وتبلغ نحو العشرين مؤلفا.
- وتأليفه في التاريخ والأدب والشعر والتصوف والثقافة - وتبلغ نحو المائة كتاب.
- وتحقيقاته لبعض كتب التراث، وتبلغ نحو العشرين كتابا.
- ودواوينه الشعرية العشرين.

إلى مؤلفاته التي لم تطبع بعد، والتي تبلغ نحو الثمانين كتابا ومن هذه الثمانين:

- أصول الأدب العربى - جزءان كبيران.
- الأزهر القديم والحديث - جزءان كبيران.
- دراسات فى الفكر العربى - جزءان كبيران.
- مصادر الثقافة العربية - جزءان كبيران.

وتقرأ كتبه: مدارس النقد - مدارس الشعر الحديث - أصول النقد - الجاحظ - الأزهر فى ألف عام (ثلاثة أجزاء) - ابن المعتز - وغيرها، فيروعك هذا العالم الجليل بسعة أفقه، وعمق فكره، وشفافته الواسعة، حتى لقب بالجاحظ وبالسيوطى، تقديرا لفكره ولمعارفه الشاملة، والخفاجى عاشق للعلم وللكتاب وللقراءة، كثيرا ما نصح تلاميذه بأن يعكفوا على القراءة والكتاب ما أمكنهم ذلك .. فالعلم بحر لا ساحل له، والقراءة هى الزورق الذى يسير به الإنسان، فى هذا البحر اللجى المتلاطم الأمواج.

(٢)

حصل الخفاجى على الدكتوراه فى الأدب والنقد والبلاغة من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦ برسالته عن ابن المعتز، وشغل منصب الأستاذية فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الإسلامية، وجامعة محمد على السنوسى فى ليبيا، وجامعة محمد بن سعود فى الرياض، وتخرج على يديه جيل كبير من العلماء والباحثين، ممن شغلوا مقعد الأستاذية فى الجامعات المصرية والعربية والإسلامية، وفى جامعة الأزهر على الخصوص، حتى كان أغلب عمداء الكليات الأزهرية من تلاميذه.

كما أشرف ونافش الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مختلف الجامعات والمعاهد، وألف عنه أكثر من عشرين كتابا بأقلام لفيف من الباحثين والكتاب والأدباء والنقاد.

وأسهم الخفاجى بنشاطه العلمى والثقافى والأدبى فى مدرسة الديوان، ورابطة الأدب الحديث، وجماعة أبولو الجديدة. واتصل اتصالا وثيقا بمدرسة

الرابطة القلمية فى نيويورك، وبالعصبة الأندلسية فى ريودى جانيرو وبمدرسة الشعراء المهجريين فى الأرجنتين، إلياس قنصل وزكى قنصل وعبد اللطيف اليونس وغيرهم.

وكان عضوا فى الجمعية الأدبية بالنجف، كما كان عضوا فى جمعية الأدباء فى القاهرة وفى اتحاد الكتاب منذ قيامه، وفى المجلس الأعلى للفنون والآداب. وفى المجالس القومية المتخصصة، وفى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وفى مجلس جامعة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وخبيرا فى مجمع اللغة العربية، وعضوا فى جمعية الهداية الإسلامية التى كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد)، وفى جمعية الشبان المسلمين، وفى رابطة أدباء وادى النيل، وفى رابطة الأدب الإسلامى، ونادى العصبة، ونادى القصة، وجمعية الدراسات الإسلامية، وجمعية العشيرة المحمدية، واتحاد أبناء الدقهلية، وعضوا شرفيا بالمجلس الأعلى القومى للأدب السودانى، وباتحاد الكتاب والمؤلفين فى بغداد.

وحضر الخفاجى عشرات المؤتمرات فى مصر والسعودية والعراق وتونس والجزائر ومراكش والكويت، وفى باكستان والهند وبروناى وفى لندن وسواها.

(٣)

ودوائر الاستشراق تعرف الخفاجى جيدا، ومن أصدقائه الحميمين من المستشرقين: عبد الكريم جرمانوس الأستاذ فى جامعة بودابست، والدكتور أرنست بانوت الأستاذ فى جامعة فينا، والمستشرق الأمريكى الدكتور رينز الذى توفى عام ١٩٩٧، والدكتور تيلاند مدير المعهد الهولندى للدراسات عن الشرق الأوسط، والدكتور داود كاون بجامعة لندن، وغيرهم.

(٤)

وقد نال الخفاجى تقدير العديد من الزعماء، وفى مقدمتهم: مصطفى النحاس ومحمد نجيب، وأنور السادات، والرئيس السنغالى عبده ضيوف، والرئيس السودانى النميرى، ورئيس الوزراء التونسى الأسبق محمد مزالى، ومنحه الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى.

كما نال تقدير العديد من أعلام الفكر العربى الحديث ومن بينهم: د. أحمد زكى أبو شادى، نجيب محفوظ، توفيق الحكيم، عبد الرحمن الشرقاوى، الشيخ أحمد حسن الباقورى، الإمام الأكبر محمد متولى الشعراوى، مبارك المغربى رئيس المجلس الأعلى القومى للأدب السودانى، البشير بن سلامة وزير الدولة الأسبق للشئون الثقافية فى تونس، محمد بن حنين وزير الدولة للشئون الثقافية بالمغرب، محمد العروسى المطوى (تونس)، وغيرهم.

وكرمت الخفاجى ندوة الاشنينية فى جدة التى يرأسها المفكر الكبير الشيخ عبد المقصود خوجه، كما كرمه نادى القصيدة ورابطة الأدب الحديث، وغيرها.

وكان صديق الأدباء الكبار من أمثال محمد مندور ومصطفى السحرتى وعبد الله عبد الجبار(السعودية) وهلال ناجى (العراق) وصالح جودت، ووديع فلسطين، والشرباصى، وفرهود وغيرهم كثير.

(٥)

والخفاجى هو الذى دعا إلى إنشاء مجمع فقهى قبل قيامه فى مكه - بعشرين عاما. وهو الذى وضع مشروع جائزة البابطين ورأسها فى العام الأول من إنشائها.

كما أنه كان من أوائل الذين اشتركوا فى الاجتماع التأسيسى لجماعة الأخوان المسلمين عام ١٩٣٧ الذى دعا إليه الشيخ حسن البنا رحمه الله.

وقد اشتغل الخفاجى طويلا بالصحافة فأصدر عام ١٩٥٣ جريدة أسبوعية باسم (الشعب)، وأصدر عام ١٩٥٥ سلسلة كتاب البعث، وأصدر هو والدكتور عبد العزيز شرف منذ عام ١٩٨٤ مجلة الحضارة.

وجهود الخفاجى فى رابطة الأدب الحديث معروفة منذ الجيل الأول الذى رأسها فيه أحمد زكى أبو شادى والجيل الثانى الذى رأسها فيه الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى، والجيل الثالث الذى رأسها فيه الناقد السحرتى، وتولى الخفاجى رياسة الرابطة منذ عام١٩٨٣.

(٦)

إن الحديث عن الخفاجي ممتد وطويل ومتلاحم وبحسب الخفاجي أنه امتلك أسلوبا أدبيا رفيعا من أصفى الأساليب العربية بيانا وبلاغة. وهو فى شعره العمودى ذى الموسيقى الشعرية والأسلوب الرومانسى المطواع، يملك ناصية البلاغة والشاعرية الأصيلة المتمكنة.

والخفاجي وحده مدرسة أدبية متكاملة كبيرة تغوص فى الذات والوجدان. وتحتفى بالتراث والأصالة، وتساير حركات التجديد فى كل خطواتها المتوثبة، وتجود فى الموسيقى والصور الشعرية والعاطفة الملتهبة والتجربة الذاتية العميقة وقصائده فى رثاء زوجته التى لقيت ربها فى السابع من أغسطس عام ١٩٨٧، تعد من أجمل قصائد الشعر الحديث.

وكما قلت إن الخفاجي بحر متلاطم الأمواج أقول: إنه لا يستطيع السباحة فى هذا البحر إلا سباح ماهر يستطيع أن يدخل إلى الأعماق وينظر إلى عالم الخفاجي المملوء بالعبقرية وبالإشراق، بعين المتأمل الناقد البصير.

وأخيرا أقول، إن الخفاجي شاهد على عصره، شهد أحداث للقرن العشرين وعايشها واتصل بها اتصالا كبيرا، وأثرت فى حياته وفكره وأدبه تأثيرا بالغا.

إن أغلب الأعلام العربية والإسلامية، فى شتى مجالات الفكر والثقافة والأدب هم معاصروه وأصدقاؤه، وأسهم مع كثير منهم إسهاما بالغا فى خدمة العربية وتراثها وأدبها، وفى العمل الجاد من أجل ازدهارها، بقدر ما أتيح له من إمكانات وطاقات ومثابرة.، حيث كتب فى نواحى الفكر المختلفة صفحات خالدات لا يمحوها الزمان.

الفهـــرس

تم بحمد الله

مع تحيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة

تليفاكس : ٥٣٥٤٤٣٨ - إسكندرية